

المجاز المرسل في لسان العرب

لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف

الدكتور / أمجد هندلauge محمد الففاره

الطبعة الأولى

١٤١٥ - ١٩٩٤م

المجاز المرسل في لسان العرب

لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف
الدكتور / أمين هنطوش عبد الغفار هلال

الطبعة الأولى
١٤١٥ - ١٩٩٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٩٧٢،،)

فقد تبوا المجاز متزلة رفيعة في البيان العربي ، وأولاه
البلغيون عنابة فائقة ، فشغل حيزاً رحباً في فكرهم ، وكتبهم ، وقد
جعلوه شطرين مستقبلين ، شطراً في الإثبات ، وهو المجاز العقلى ،
وشطراً في المثبت ، وهو المجاز اللغوى ، وقسموا شطره اللغوى قسمين
استعارة ، ومجازاً مرسلاً ، وكانت العلاقة بين المعنى الحقيقى ،
والمعنى المجازى هي مناط التمايز بينهما؛ فإذا كانت هذه العلاقة هي
المشابهة ، كان استعارة ، وإذا كانت الملابسة والاتصال ، كان مجازاً
مرسلاً ، وما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجانى في هذا الصدد "أن
الاسم المستعار يتناول المستعار له؛ ليدل على مشاركته المستعار منه
في صفة هي أخص الصفات التي من أجلها وضع الاسم الأول أعني
أن الشجاعة أقوى المعانى التي من أجلها سمى الأسد أساً ، وأنت
 تستعير الاسم للشئ على معنى إثباتها على حدتها في الأسد ، فاما
اليد ونقلها إلى النعمة ، فليست من هذا في شيء؛ لأنها لم تتناول
النعمة؛ لتدل على صفة من أوصاف اليد بحال...".^(١)

(١) أسرار البلاغة ، تعليق محمد رشيد رضا / ٣٤٤ مكتبة القاهرة

وسيتناول هذا العمل - إن شاء الله تعالى - المجاز المرسل، وعلاقاته من خلال الأمثلة، والشاهد التي تطرق إليها (ابن منظور) في (السان العربي) ويحتكم فيما ذكره إلى ما استقر في عرف البيا .

وقد .. إن الله سبحانه وتعالى إلى اختيار هذا الموضوع، ويسر لى قراءة (السان العربي) واستخراج المادة العلمية منه لهذا الموضوع، وغيره^(١).

وقد كان الهدف من الاتجاه صوب (السان العربي) وارتياد آفاقه الفسيحة هو إثراء الدرس البلايلي بأفكار جديدة، وصور طريفة ليست متداولة في كتب البلاغة المعهودة.

وقد جعلت هذا العمل في تمهيد ، وخمسة فصول ، عرفت في التمهيد على عجل (باب منظور) ومعجمه الكبير (السان العربي). وتناولت في الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل عند بعض كبار البشائرين، بدءاً من أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وانتهاء بالخطيب القزويني. وتعرضت في الفصل الثاني لعلاقة المجاز المرسل التي ظفرت بها في (السان العربي) من خلال الشواهد التي ساقها من آئي القرآن المجيد ، والحديث النبوي الشريف ، وشعر العرب ونشرهم.

(١) سبق هذا العمل بمقال (رؤى جديدة في الاستعارة غير المقيدة) الذي نشر في حلقة كلية اللغة العربية بالمنوفية ، العدد الرابع عشر ١٩٩٤م وقد اعتمدت فيه أيضاً على المادة العلمية المستخرجة من (السان العربي).

وعرضت في الفصل الثالث لما سمي بالمجاز عن المجاز، وذكرت أمثلة أوردها (أين منظور) يمكن أن تعتبر من هذا النوع من المجاز ، وإن كانت قليلة.

وتناولت في الفصل الرابع إمكانية إطلاق مصطلح الاستثمار ، والمجاز المرسل على لفظ واحد باعتبار العلاقة المقصودة فيهما . وفي الفصل الخامس والأخير بينت أن اللفظ الواحد يمكن أن يكون مجازاً مرسلـاً، وكناية باعتبارين ، وذلك إذا اختلفت الحقيقة المعتبرة فيهما.

والله نسأل أن يهدنـا بعـونـه ، وـتـوـقـيـقـه ،
لـمـاـتـوـقـيـقـهـإـلـاـبـالـلـهـعـلـيـهـتـوـقـيـقـهـوـالـلـهـأـنـيـهـ

دكتور

أحمد هنداوى عبد الغفار هلال

طنطا فى : ١٥ من جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

١٠ من أكتوبر ١٩٩٤ م

تمهيد

أود أن ألتى في هذا التمهيد الضوء في عجلة على شخصية (ابن منظور) و منزلته العلمية ، وعلى معجمه الكبير (لسان العرب) لأن اسم كل منها يتتصدر وجه هذا العمل ، ويُشَل جانباً من عنوانه ، وأيضاً فإن مادته العلمية قائمة ومبنية على ما ذكره في هذا المعجم المنقطع النظير.

اسم ونسبه :

هو محمد بن مكرم بتشديد الراء ابن على بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري^(١) ، وقد اشتهر باسم (منظور) أحد آجداده الأعلون.

وقد صرخ بنسبه في بعض الموضع من (السانه) فقال " .. فاما جربة بالها ، فقرية بالغرب لها ذكر في حديث رويفع بن ثابت - رضي الله عنه - قال عبد الله بن مكرم رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار ، كما رأيته بخط جدي تحييب الدين والد المكرم ، أبي الحسن على بن أحمد بن القاسم بن حبقة بن محمد بن منظور بن معافي .. "^(٢).

(١) معجم المؤلفين ، تأليف عمر كحالة ١٢٤٦ مكتبة المتن - لبنان .

(٢) لسان العرب ١٥٨٤ (جرب) ط دار المعارف - القاهرة .

مولده ووفاته :

ولد في شهر المحرم سنة ١٤٦٣هـ^(١) بصر وقيل في طرابلس الغرب^(٢).

وقد خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولى القضاة، في طرابلس الغرب، ثم عاد إلى مصر وتوفي بها في شعبان ١٧١١هـ^(٣).

منزلته العلمية :

يتسم (ابن منظور) مكانة علمية سامية ساقطة، لا يصل إليها إلا الأفذاذ القلائل الذين آتاهم الله بسطة في العلم، وغزاره في الذكاء والفهم، وقد وصفه أولو الفضل من العلماء بنبييل السجايا، وعظيم الصفات، فهو (الإمام الحجة اللثوي)^(٤) الفاضل في الأدب، الملبع في الإنشاء، المتفرد في العروضي، العارف بال نحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة^(٥).

(١) بغية الوعاة، للسيوطى ٢٤٨/١ تحقيق محمد أبو الفتح ، بيروت ، لبنان .

(٢) الأعلام ، لخير الدين الزركلى ١٠٨/٧ دار العلم للملائين ، بيروت ط رابعة ١٩٧٩ م.

(٣) ينتظر بغية الوعاة ، للسيوطى ٢٤٨/١ .
وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد المخبلى ٢٦/٦ دار إحياء التراث ، بيروت والأعلام ١٠٨/٧ .

(٤) الأعلام ٧ / ١٠٨ .

(٥) ينظر بغية الوعاة ، للسيوطى ٢٤٨/١ .

وهو "علم الهدایة الباذخ، وطود الدراسة الشامخ، الناضل الذي
مارمى إلا أصباب فؤاد الغرض، والطيب الذى أزال عن عيون
ال المشكلات كل غشاوة ، وعن قلوبها كل مرض ، ذو التصانيف الفائقة
العديدة ، والتأليف الرائعة المقيدة ، واللطائف الجمة ، والطرائف المهمة
شيخ الشيوخ، راسخ القدم في كل فن أعظم رسوخ ، الحافظ المتقن،
المتفن ، المتحدث ، المتفرد بالعوالى، المتسكن الإمام جمال الدين
محمد بن الشيخ الإمام جلال الدين أبي العز مكرم .. الشهير بابن
منظور..^(١) وبكتبه فخرًا ورفعة في ساحة العلم أنه "ترك بخطه
نحو خمسين مجلد".^(٢)

مكانة (لسان العرب) :

أثنى كثيير من العلماء على معجم (لسان العرب) وأنزلوه
منزلته اللائق به ، منهم أحمد فارس الشدياق الذى قال في تقريره
(اللسان)" .. أقرر أن أعظم كتاب ألف في مفرداتها - أى مفردات
اللغة العربية- كتاب (لسان العرب) للإمام المتقن جمال الدين محمد
ابن جلال الدين الأنصاري... فهو يغنى عن سائر كتب اللغة، إذ هي
بجملتها لم تبلغ منها ما يبلغه ..^(٣).

(١) من كلمة مصحح العلوم في ختام لسان العرب محمد الحسيني ط بولاق .٣٨٧/٢٠.

(٢) الأعلام ١٠٨/٧

(٣) مقدمة الطبعة الأولى من لسان العرب ط بولاق ١٤٢/٣.

وهذه شهادة من قرأ (السان العرب) وسبر غوره ، وعرف قدره فهو مشحون بعلوم اللغة العربية بحيث يمكن الاستغناء به عما عداه من كتبها الشنوعة؛ لأنه بلغ شأوا لم تبلغه هذه الكتب ، وماذاك إلا لأنه "... البحر المحيط باللغة العربية تستخرج من مجلسه الأكشن الأدبية، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يدع شاردة ولاواردة من غريب اللغة ، والحديث والأى إلا قيدها وأبادها... " (١).

وقد ذكر (ابن منظور) نفسه أنه جمع في كتابه خمسة كتب هي الصاحح للجوهرى ، وحاشية ابن برى عليه ، والتبيذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير (٢).

ثم قال "وليس لي في هذا الكتاب قضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أقسى بحسبها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ... فليعتمد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .. " (٣).

ويبدو أن هذا الذي قاله هو من قبيل تواضع العلماء الجم ، وعدم مباهاتهم بأعمالهم الجليلة ، وهضمهم أنفسهم ، فقد أثبتت الدراسة الثانية أن معجمه كان عملاً جديداً ، وليس مجرد جمع لمجموعة كتب في كتاب واحد ، وكانت له شخصيته البارزة في طول هذا المعجم ، وعرضه ، ولا أدل على ذلك من أنه كان ينقد من يأخذ عنهم في منهجهم ، وفي مادتهم اللغوية (٤).

(١) من كلمة مصحح العلوم محمد الحسيني في ختام ط بولاق ٢٠٣٨/٢.

(٢) ينظر مقدمة لسان العرب ١١-١٢ ط دار المعارف .

(٣) نفسه ١٢ / ١٢.

(٤) ينظر ابن منظور اللغوى منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية ، للدكتور محمد متولى متصور ٣٥٣-٤٣٦ رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

الفصل الأول

تطور حقيقة المجاز المرسل

- ١- المجاز المرسل عند أبي عبيدة.
- ٢- المجاز المرسل عند ابن قتيبة.
- ٣- المجاز المرسل عند أبي هلال العسكري.
- ٤- المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار.
- ٥- المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني.
- ٦- المجاز المرسل عند الزمخشري.
- ٧- المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى.
- ٨- المجاز المرسل عند أبي يعقوب السكاكى.
- ٩- المجاز المرسل عند الخطيب القزوينى.

الفصل الأول

تطور حقيقة المجاز المرسل

حاولت في هذا الفصل أن ألقى بعض الضوء على ما عرف - بعد - بالمجاز المرسل من خلال كلام بعض كبار البهائيين - علي قدر جهدي - ولم يكن الهدف هو الاستقصاء ، وحصر الكلام فيه على هؤلاء الأعلام دون سواهم ، ولكنها نظرات تبدت أمامي ، أو أخذتها من كتابات بعض الباحثين حول هذا المجاز ، فأردت أن أسجلها لعلها تكون مفيدة نافعة.

ال المجاز المرسل عند أبي عبيدة ت ٩٠٩ـ :
يعتبر أبو عبيدة معاشر بن المثنى أقدم من عشرت منه من البلاغيين على لحات دالة، وإشارات عابرة إلى حقيقة المجاز المرسل، فقد أوراً في كتابه (مجاز القرآن) إلى حقيقة هذا المجاز، فذكر عند قوله تعالى حكاية عن الملائكة "... ونحن نسبح بحمدك .." (١) أن معنى (نسبح) " نصلِّي تقول قد فرغت من سبحتي أي صلاتي " (٢). وهذه إشارة إلى علاقة الجزئية حيث أطلق التسبيح وهو جزء من

(١) البقرة / ٣٠ .

(٢) مجاز القرآن ٣٦/١ تعليق دكتور محمد فؤاد سرزيكين ، مكتبة الماخنجي - القاهرة .

الصلة على الصلاة بجميع أجزائها ، ومنه قوله تعالى " فلو لا أنه
كان من السبعين " ^(١) أو المصلين ^(٢) .

ومن الموضع التي لوح فيها أبو عبيدة إلى حقيقة هذا المجاز
ما ذكره عند قوله تعالى " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا " ^(٣) .

فقد قال " مجاز السماء ه هنا مجاز المطر يقال مازلنا في سماء
أى مطر ، وما زلنا نطا السماء أى أثر المطر ، وأنى أخذتكم هذه
السماء ؟ " ^(٤) فإذا إطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته
المجاورة ^(٥) .

والمصول عليه في كلامه المذكور أنه فسر السماء بالمطر ، أما
اعتباره ذلك مجازا ، فليس قطعى الدلالة ، لأنه لم يقصد من كلمة
المجاز ما يقابل الحقيقة ، وإنما كان يريد بها تفسير الكلمة ، وتوضيح
معناها ، سواء كانت هذه الكلمة مستعملة في معناها المجازى ، أو
الحقيقى ، وقد صرخ بذلك محقق كتابه (مجاز القرآن) ^(٦) .

(١) الصافات / ١٤٣.

(٢) ينظر تفسير القرطبي / ٢٣٦ ط الشعب .

(٣) الأتعام / ٦.

(٤) مجاز القرآن / ١٨٦/١.

(٥) ينظر بقية الإيضاح ٩٦/٣.

(٦) مجاز القرآن / ١٩/١.

وقد ألمع إلى هذا المجاز أيضاً عند قوله تعالى " .. فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنما نسيناكم..." ^(١) فقال : "مجازه إنما تركناكم ولم ننظر إليكم، والله عز وجل لا ينسى فسيذهب الشيء من ذكره" ^(٢).

فالنسيان في الآية ليس مستعولاً في حقيقته؛ لأن الأشياء لا تذهب من ذكره، ولا تتصلص من علمه، وعلى ذلك يكون إطلاق النسيان على الشرك مجازاً مرسلًا، علاقته المزومية "لأن المنسى يكون متروكاً، فلما كان الترك من لوازم النسيان، أطلقوا اسم المزوم على اللازم" ^(٣).

وأشار كذلك إلى علاقة (الآلية) عند قوله تعالى "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" ^(٤) فقال في معنى (السان صدق) "أى ثناء حسناً في الآخرين" ^(٥) فصرف كلمة (السان...) عن معناها الحقيقي إلى الثناء الحسن، ومعلوم أن اللسان آلة الكلام، والثناء، فيكون مجازاً مرسلًا علاقته الآلية.

(١) السجدة / ١٤.

(٢) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

(٣) التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي - ٢٤٥/١/٢ - دار الفكر - بيروت ط. ثالثة ١٤٠٥ هـ.

(٤) الشعراء / ٨٤ .

(٥) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

وأمع أبو عبيدة إلى المجاز المرسل أيضاً عند قوله تعالى "فليبدع
ناديه" (١) فقد فسر (ناديه) بأهل مجلسه (٢).
فأطلق المحل على الحال فيه، وتلك علاقة المحلية . وهكذا نجد
أبا عبيدة - رحمة الله - قد أشار إلى علاقات خمس من علاقات
ما عرف بعد باسم المجاز المرسل ، وهي الجزئية، والمجاورة، والمزومية ،
والآلية ، والعلمية.
وربما يكون قد أومأ إلى علاقات غيرها لم أفتدها ، أو
أوفق في العثور عليها.

المجاز المرسل عند ابن قتيبة ت ٣٧٦ هـ :
كان عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينتوري إماماً من أئمة اللغة
والأدب ، وقد بسط القول في المجاز ، وشعب القول فيه ، وأكده على
وجود المجاز في اللغة العربية ، وفي النظم القرآني الجليل ، ويبدو
مما كتبه حول المجاز أنه توسع في استعمال كلمة المجاز كما توسع فيها
أبو عبيدة من قبله ، فكان يطلق مصطلح الاستعارة على ما عرف
بالمجاز المرسل ، وقد بدأ من خلال بيانه ، وشرحه لحقيقة هذا المجاز
عدة علاقات ، فقد جاء في بعض المراجع من كتاباته (تأويل مشكل
القرآن) أنهم - أي العرب - " يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان
الكلمة لتقارب مابينهما ، أو أن إدراهم سبب للأخرى ، فيقولون

(١) العلق / ١٧ .

(٢) مجاز القرآن ٣٠٤/٢ .

للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل، ويقولون للبنات ندى؛ لأنه بالندى ينabit، ويقولون ما به طرق أى مابه قوة، وأصل الطرق الشجم، فيستعيرونه مكان القوة؛ لأن القوة تكون عنه^(١).

فكلامه المذكور آنفا يومئ إلى علاقتين: أولاهما: المجاورة، وذلك ظاهر من قوله (فيقولون للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل). وقد عرض لحقيقة هذه العلاقة في موضع آخر من كتابه عندما تناول قوله تعالى "وثيابك فطهر" ^(٢) وجعل (ثيابك) استعارة عن النفس، لأن الشباب تجاور جسم الإنسان، وجعلها مناظرة (الأثواب) في قول ليلي الأخيلية وقد ذكرت إيلا:

رموها بآثواب خراف فلا ترى - لها شبهها إلا النعام المنفرا
"أى ركبوا فرموها بأنفسهم" ^(٣).

وكون الشباب مجاورة للأبدان، أو مشتملة عليها يعني أن هذا مجاز مرسل علاقته المجاورة، أو المحلية.
ثانيةهما: السببية وذلك واضح من قوله (ويقولون للبنات ندى، لأنه بالندى ينabit) فإطلاق الندى وهو الغيث والمطر ^(٤).

(١) تأويل مشكل القرآن / ٣٠٢ نشره وشرحه السيد أحمد صقر ط الثانية ١٩٧٣م ، دار التراث القاهرة.

(٢) المدثر / ٤.

(٣) تأويل مشكل القرآن / ١٤٢.

(٤) ينظر لسان العرب / ٦ ٤٣٨٧ (ندى).

مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المطر سبب في النبات، وغنى عن البيان أن دخوله باء السببية على (الندى) يعتبر شاهد صدق على أن إطلاقه على النبات مجاز مرسل علاقته السببية.

ومن قبيل هذه العلاقة أيضاً ماذكره من إطلاق الطرق ، وهو الشحم على القوة في قولهما مابه طرق أى قوة حيث أطلق السبب على المسبب .

وقد ألمح في ثانياً أمثلته التي ساقها إلى علاقة المسبيبة، فقال .. ومنه الذكر بوضع موضع الشرف؛ لأن الشريف يذكر قال الله تعالى " وإنك لذكر لك ولقومك" ^(١) يريد أن القرآن شرف لكم ، وقال تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم) ^(٢) ، أى شرفكم ، وقال (بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) ^(٣) أى أتيناهم بشرفهم ^(٤) .

فقوله في صدر كلامه المتقدم (.. لأن الشريف يذكر) يشير إشارة واضحة إلى أن الذكر مسبب عن الشرف، فيكون إطلاق الذكر عليه مجازاً مرسلًا علاقته المسبيبة.

وأشار ضمن أمثلته التي ذكر أنها استعارة إلى علاقة الآلة فقال: " ومن الاستعارة اللسان بوضع موضع القول؛ لأن القول يكون

(١) الزخرف / ٤٤.

(٢) الأنبياء / ١٠.

(٣) المؤمنون / ٧١.

(٤) تأويل مشكل القرآن / ١٤٧.

بها، قال الله عز وجل (واجعل لى لسان صدق في الآخرين) ^(١) أى ذكر أحسنا.. ^(٢) وقد أصبح واضحا من تتبع كلامه الذي يلوح إلى المسببية، والآلية أن إطلاق اللسان على القول ببيان إطلاق الذكر على الشرف، فهذا من المسببية، وذاك من الآلية، وشتان ما بينهما، ولذلك فإننى لا أتفق مع الدكتور كامل المخولي - رحمة الله - في اعتباره العلاقة في الموضعين هي الآلية، فقد قال بعد أن أورد بعض كلامه حول العلاقاتين كليهما: "وتتضح علاقة الآلية فيما ذكر" ^(٣).

ولعل ابن قتيبة كان يعتبر حقيقة ماعرف بعد بالمجاز المرسل من الاستعارة؛ لأن المصطلحات البلاغية في عصره لم تكن قد تحددت مدلولاتها تحديدا دقيقا، أو يكون قد حدا حدو بعض العلماء الذين يجعلون المجاز كله استعارة، لأن اللفظ استعير من مستحبته الذي وضع له أولا، ونقل إلى ماتجوز به عنه؛ ولهذا سمه مجازا ^(٤).

المجاز المرسل عند أبي هلال العسكتري ت ٩٥٣هـ :
بقسم صورة المجاز المرسل عند (أبي هلال) غير محددة
المعالم، ولا وضحة الملامح ، والسمات ، فقد جعله داخلا فسي

(١) الشعراة / ٨٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن / ١٤٦.

(٣) صور من تطور البيان العربي ، للدكتور كامل المخولي / ١٤١ .
ط أولى ١٩٦٢ م دار الأنوار للطباعة والنشر .

(٤) ينظر الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعزبن عبد السلام / ٤٩-٣٠.

الاستعارة، ومشتملاً بردائها الفضفاض ، وهو بذلك لم يضاف جديداً إلى تحديد هذا المجاز، والكشف عن ماهيته، وحقيقةه وقد ظهر ذلك جلياً عندما عقد فصلاً في (الاستعارة والمجاز) اعتبر فيه بعض أمثلة المجاز المرسل من قبيل الاستعارة^(١) فقال:

" ويقولون - أى العرب - للمطر سماء قال الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعناء وإن كانوا غضابا
ويقولون ضحكت الأرض إذا أنبعت .. .^(٢)

وإطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة - وقد سبقت الاشارة إلى ذلك.

وقد ذكر بيت أمرى القيس :

فيات عليه سرجه وبجامده ويات بعيتني قائمًا غير مرسل
ثم قال بعقبه " أى كنت أراه وأحفظه، وعلى هذا مجاز قوله عز
وجل (تجبرى يأعیننا)^(٣) .

واضح أن إطلاق العين على الحفظ مجاز مرسل علاقته
السببية؛ لأن العين من أسباب الحفظ^(٤).

(١) ينظر الصناعتين من ٢٩٥ - ٣٣٨ .

دار الكتب العلمية - بيروت ط أربى ١٩٨١م.

(٢) نفسه / ٣٠٤ .

(٣) القمر / ١٤ وينظر الصناعتين / ٣١١ .

(٤) ينظر صور من تطور البيان العربي ، للدكتور كامل الخولي ١٩١ / ١٦١ .

ويبدو أنه ناقل عن سائنه (ابن قتيبة) ومتأثر به ، يدل على ذلك "اتفاق كثير من الأمثلة عندهما".^(١)

الصياغة الموسسل عند القاضي عبد الجبار ت ٤١٥،
 وأشار القاضي عبد الجبار إلى طائفة من علاقات المجاز
المرسل^(٢) مثل ١- السببية ٢- المسببة ٣- الجزئية ٤- اعتبار
مكان ٥- اعتبار ما يتول إليه ٦- الحالية ٧- الآلية .

ولم يصرح باسم هذا المجاز أسوة بمن سبقوه ، ولكن شرحه لتلك
العلاقات ، والتاءم الضوء عليها يحدد مدلولاً ذلك المجاز ، ويبين
حقيقة وقد يكون من المفيد أن أذكر بعض أمثلة لم تذكر من قبل في
هذا العمل تقلل موقفه من حقيقة ذلك المجاز ، دون بسط أو تطويل.

١- المسببية :تناول القاضي هذه العلاقة في عدة مواضع
منها ما ذكره عند قوله تعالى "ولقد كنتم قتون الموت من قبل أن
تلقونه فتقى رأيتموه وأنتم تتظرون" ^(٣) فقد قال "وربما قيل في قوله
تعالى (ولقد كنتم..) كيف يصح أن يلقى المرت وهو ينظر؟ وجوابنا

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن / ١٣٥ - ١٣٦ .

والصناعتين ٣٠٥ - ٣٠٤ .

(٢) ينظر بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ، للدكتور عبد الفتاح
لاشين من ٣١٥ إلى ٣٣٢ .

(٣) آل عمران / ١٤٣ .

أن المراد رؤية أسباب الموت ومقدماته، دون نفس الموت؛ لأن الميت لا يتمكن من أن يكيف الموت ويراه ، وهو كقوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت)^(١) والمراد به المرض الذي يخاف منه الموت^(٢).

واضح من بيانه، وإيضاحه أن الموت استعمل في غير حقيقته، وأطلق مجازاً على مقدماته وأسبابه، لأن الذي تفيض روحه لا يتأنى منه وصية^(٣) أو أي عمل آخر .

وقد تناول هذه العلاقة أيضاً عند قوله تعالى " واتقوا النار التي أعددت للكافرين " ^(٤) فقال بعد أن ذكر الآية " كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين ؟ ... وجوابنا أن المراد بقوله (واتقوا النار) اتقاء المعاصي التي توجب استحقاق عذاب النار، وذلك ظاهر إذا قبيل للمرء اتق ربك ، واتق السلطان أن المراد اتقاء ما يؤدی إلى تأدبيهم " ^(٥) . فجعل (النار) في الآية مجازاً عن المعاصي، والأثام التي توجب عذاب النار وعلى ذلك تكون مجازاً مرسلأ علاقته المسببية حيث ذكر المسبب ، وأريد به السبب.

(١) البقرة / ١٨٠.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبدالجبار / ٨٠ دار النهضة الحديثة . بيروت - لبنان .

(٣) لأن بقية الآية السابقة (إن ترك خيراً الرصبة للوالدين والأقربين) .

(٤) آل عمران / ١٣١ .

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٧٨ .

٢- المجزئية : ألمح القاضي عبد الجبار إلى هذه العلاقة في مواطن كثيرة منها ما ذكره عند قوله تعالى " فَأَقِمْ وَجْهِكَ لِلَّدِينِ الْقِيمِ " ^(١).

فقد بين أن المقصود من (وجهك) ذاتك كلها فقال ^(٢) المراد بالوجه نفس الإنسان، فكانه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه ، ولا تزول ، فلا تأمن في كل وقت من الاخترا ، فإذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين" ^(٣) فاعتبر الوجه ، وهو جزء من الإنسان مجازا عن ذات الإنسان كلها ، وهذا مجاز مرسل علاقته المجزئية.

٣- اعتبار ما ينول إليه:

ألمح القاضي إلى هذه العلاقة في عدة أماكن منها ما ذكره عند قوله تعالى " إِنِّي سَقِيمٌ " ^(٤) فقد قال " ورها قيل في قوله تعالى (إنى سقيم) كيف يصح على الأنبياء الكذب ؟ وجوابنا أنه يريد سأقىم كقوله تعالى (إنك ميت) ^(٥) أي ستموت ، وكقوله (إنى أراني أعصر خمرا) ^(٦) فإطلاق السقيم على السليم ، والميت على

(١) الروم / ٤٣.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٣٢١.

(٣) الصافات / ٨٩.

(٤) الزمر / ٣١.

(٥) يوسف / ٣٦.

الحي ، والخمر على العنب يعتبر مجازا لأنه استعمال لهذه الألفاظ في غير مواضع لها؛ لأن الصحيح سيتحول أمره في المستقبل إلى السقم ، والحي سوف يموت لا محالة ، والعنب سيتحول إلى خمر بعد عصره.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن الدكتور عبد الفتاح لاشين ذكر في خاتمة مبحث المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار^(١) أن أحد كبار الباحثين قال إن الزمخشرى أضاف إلى المجاز المرسل علاقات : تسمية الشيء باسم جزئه، واعتبار ما ين溥 إليه ، والمسببية^(٢).

وقد عقب الدكتور لاشين على هذا القول بأنه غير دقيق؛ لأنه ألقى هذه العلاقات عند القاضي عبد الجبار، وهو أسبق زمانا من الزمخشرى يقرن ونصف تقريرا^(٣).

ويبدو لي أن القطع في مثل هذه المسائل التاريخية، دون أدلة حاسمة يعتبر ضربا من الحدس يأبه التحقيق العلمي السليم، وليس أدل على ذلك من أننى وجدت إشارة إلى علاقة المجزئية عند أبي عبيدة معمر بن المشني عندما فسر التسبيح بالصلة في قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك)^(٤) وقد ذكرت ذلك في مطلع الحديث عن

(١) . بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار / ٣٣٢ .

(٢) نفسه / ٣٣٢ / وينظر بلاغة تطور وتاريخ ، للدكتور شوقي ضيف / ٢٦٣ .

(٣) ينظر بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار / ٣٣٢ .

(٤) البقرة / ٣٠ .

المجاز المرسل عنده، ومعلوم أنه أسبق من القاضى ، والزمخشري
بزمن سحيق.

الصياغ المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١هـ :
لم يعقد الشيخ عبد القاهر فصلاً معيناً يبسط فيه القول في
المجاز المرسل، وإنما لمس بعض الأمور التي تتعلق به عرضاً ، وهو
يفرق بين حقيقته، وحقيقة الاستعارة، وقد ذكر أن غرضه في هذا
الفصل الذي تطرق فيه إلى نبذة يسير من قضايا المجاز المرسل أن يبين
"أن المجاز أعم من الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن
كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة" ^(١).

ولو أنه أفرد هذا المجاز ببحث مستقل ، أو أولاًه مزيداً من
بيانه، واهتمامه، لظفر الدرس البلاغى منه بخير كثير، وعلم غزير .

وقد وجد الشيخ عبد القاهر بعض من سبقوه يتوسعون في
إطلاق الاستعارة على ما يعتبر مجازاً مرسلًا ، فاعتبر ذلك منهم
تساهلاً في تحrir المسائل، وتقصيراً في النظر، وضعفاً في الرأى ^(٢).
فقد صرخ بأن أبو بكر بن دريد ابتدأ في كتاب الجمهرة بباب
فقال (باب الاستعارات) ثم ذكر فيه ألفاظاً تعتبر من قبيل المجاز
المرسل مثل إطلاق الظعنينة، وأصلها المرأة في الهودج على البعير،
والهودج، وإطلاق الرواية وهي اسم للبعير على المزاد، وغير ذلك ^(٣).

(١) أسرار البلاغة / ٣١٩.

(٢) ينظر المرجع نفسه / ٣٢٢.

(٣) نفسه / ٣٢٠ - ٣٢١.

وأن الأمدي عد كلمة (المجلس) في قول المهلل :
... واستحب بعده يأكلليب المجلس

استعارة^(١) .. فطلاق لفظ الاستعارة على وقوع المجلس هنا يعني القوم الذين يجتمعون في الأمور ، وليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه ، بل على وجه وقوع الشيء على ما يتصل به ، وتكرر ملابسته إياه ، وأى شيء يكون بين القوم ومكانتهم الذي يجتمعون فيه ؟ إلا أنه لا يعتد به مثل هذا ، فإن ذلك قد يتافق حيث ترسل العبارة^(٢) ولا يخفي أن الملابسة بين المجلس ، والقوم الذين يجلسون فيه هي المحلية.

وقد أوضح أن إطلاق لفظ الاستعارة عليهما معاً متظور فيه إلى جانب النقل وحده ، دون اكتراض بنوع العلاقة بين المنقول منه ، والمنقول إليه ، وفي هذا مجافاة لعرف البيانيين في تمييزهم بين حقيقة المجاز المرسل ، وحقيقة الاستعارة ، وذلك شبيه به من يترك عرف النحويين في تفريقيهم بين الحال ، والتمييز ، فيسمى الحال تمييزاً على اعتبار أنها تمييز المقصود من الكلام ، وتبينه^(٣) .

(١) ينظر المازنة ، للأمدي ٣٩٣/١ تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف ، ط رابعة .

(٢) أسرار البلاغة . ٣٢٣ .

(٣) ينظر أسرار البلاغة / ٣٢١ .

ولذلك نبذ الشيخ عبد القاهر هذه النظرة، ولم يرضها ، وضرب بها عرض الحائط فقال : "... وليس هذا بالذهب المرضى، بل الصواب أن تصر الاستعارة على مانقله نقل التشبيه للمبالغة؛ لأن هذا يطرد على حد واحد ، قوله فوائد عظيمة، ونتائج شريفة.." (١)

وفي هذا دلالة واضحة على أن إطلاق لفظ الاستعارة على ما يعاد مجازا مرسل خطأ بحث، وخطل صراح ، وإن لمحظت أنه خفف هذا الحكم بعد ذلك بقليل عندما ذكر أن إطلاق الاستعارة على ما يعاد مجازا مرسل بعيد (٢) ولعله يقصد أنه بعيد من الصواب حتى يتساوق كلامه، وتتألف عباراته. فالاستعارة قائمة على أساس الشبه بين المستعار له، والمستعار منه ، فهي تعتمد التشبيه أبدا (٣) والنقل فيها يطرد على حد واحد، وعلاقة واحدة ، أساسها التشبيه ، وقوامها الصفة المشتركة بين طرفيها ، والمجاز المرسل مبني على الملابسة والارتباط بين المنقول منه ، والمنقول إليه، فليس مطرودا على وثيرة واحدة، ونقط معين ، ونظام واحد ، بل تتعدد علاقاته، وتشريع صنوفها ، وأشكالها على حسب الاتصال ، والملابسة بين المعنى المنقول منه ، والمنقول إليه.

وقد أنبأت الأمثلة التي ساقها في بعض الموضع عن طائفة من علاقات المجاز المرسل، وأظهرت اختلافها ، وتنوعها " .. نحو

(١) نفسه / ٣٢٢.

(٢) نفسه / ٣٢٥.

(٣) نفسه / ٣٧.

تسميتهم المزادة راوية ، وهي اسم للبعير الذى يحملها فى الأصل ، وكتسميتهم البدر حفضا ، وهو اسم لقانع البيت الذى يحمل عليه ، ولا كنحو مابين الجزر من الشخص ، وبين جملة الشخص ، كتسميتهم الرجل عينا إذا كان رئيسة ، والناقلة نايا ، ولا كما بين النبت ، والغيث ، وبين السما ، والمطر حيث قالوا رعينا الغيث يريدون النبت الذى الغيث سبب فى كونه ، وقالوا أصابنا السما ، يريدون المطر ..^(١) واضح من خلال الأمثلة التى تقدمت أن علاقات المجاز المرسل فيها ليست واحدة ، فإطلاق الراوية على المزادة ، وإطلاق اسم الحفظ على البعير الذى يحمله من قبيل المجاورة ، وإطلاق العين على الرئيسة الذى ينظر للقوم ، ويرعى أمورهم ، ويحرسهم^(٢) من علاقة المجنية ، وإطلاق الغيث على النبات يعتبر من علاقة السببية ، كما يتبين: كلام الشيخ نفسه ، لأن الغيث سبب فى النبات.

وأسأطرق - إن شاء الله - إلى كثيير من هذه الأمثلة عند الحديث عن علاقات المجاز المرسل فى لسان العرب.

وقد نبه إلى أن علاقات المجاز المرسل ليست على شاكلة واحدة ، فى قوة ترابطها ومتانة الأواصر بينها : لأن الأسباب التى تصل بين المعنى الأصلى ، والمعنى المجازى قد تكون قوية أو ضعيفة ، وقد تكون شديدة الظهور ، أو بينة الخفاء .

(١) نفسه / ٣١٨.

(٢) ينظر لسان العرب ١٥٤٥/٢.

فقد قال عقب كلامه حول بعض هذه العلاقات، وقد نقلته منذ قليل: "... واعلم أن هذه الأسباب الكائنة بين المنشول، والمنقول عنه تختلف في القوة ، والضعف ، والظهور ، وخلافه، فهذه الأسماء التي ذكرتها إذا نظرت إلى المعانى التى وصلت بين ماهى له ، وبين ما وردت إليه ، وجدتها أقوى من نحو ماتراه فى تسميتهم الشاة التي تذبح عن الصبي إذا حلت عقiquette عقيقة ، وتجد حالها بعد أقوى من حال العقيرة فى وقوعها للصوت فى قولهم رفع عقيرته، وذلك أنه شئ جرى اتفاقا ، ولا معنى يصل بين الصوت ، وبين الرجل المعقورة.." (١) واضح من كلامه أنه يريد أن يقرر أن العلاقة بين الغيث والنبات ، وهى علاقة السببية أقوى من العلاقة بين العقيقة التي هي شعر المولود ، وبين الشاة التي تذبح عند حلق هذا الشعر، وهي فيما يتراهى لى السببية أيضا إلا أن الارتباط بينهما أوهن من الارتباط بين الغيث والنبات، وكذلك العلاقة بين المزادة ، والراوية ، والبعير ، والخنض ، وهى علاقة المجاورة أقوى من العلاقة بين الرجل المعقورة ، والصوت ، ويبدو أنها المجاورة إلا أن هذه العلاقة فى غاية الضعف والوهى، لأنه لاصلة بين الرجل المعقورة ، ورفع الصوت، ولذلك عقب الشيخ علي هذا المجاز يقوله " إنه شئ جرى اتفاقا ، ولا معنى يصل بين الصوت ، وبين الرجل المعقورة" (٢).

(١) أسرار البلاغة / ٣١٨.

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٨.

وقد يحسن هنا أن ألقى مزيداً من الضوء على المناسبة التي كانت سبباً في إطلاق العقيرة على الصوت خصوصاً أن الشيخ عبد القاهر لم يعرج على هذا السبب، فقد ذكر صاحب لسان العرب في سبب هذا الإطلاق "أن رجلاً عقرت رجله - أى قطعت -^(١) فوضع العقيرة على الصححة، وبكى عليها بأعلى صوته، فقيل رفع عقيرته..."^(٢) ومadam العرب قد نطقت بهذا المجاز، فلا يأس أن يتلمس المرء له علاقة مقبولة لعلها المجاورة، والصاحبة الزمنية بين رفع الرجل المعقودة، ورفع الصوت بالتسويع، والأثنين، وكلام الشيخ ينبغي أن لهذا المجاز علاقة لكنها واهية واهنة.

المجاز المرسل عند الزمخشري ت ٥٣٨ هـ :

تناول جار الله الزمخشري - رحمة الله - طرفاً من علاقات المجاز المرسل مثل السبيبة ، والسببية ، والكلية ، والجزئية ، واعتبار مكان واعتبار ما يكون ، والمجاورة ، والآلية ، والمحلية^(٣). ولا يأس أن أشير إلى طائفة قليلة من هذه العلاقات من خلال أمثلة لم يسبق ذكرها في هذا العمل رغبة في تكثير الفائدة.

(١) لسان العرب ٤/٣٥ (عتر).

(٢) نفس المصدر والموضع.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، للدكتور محمد أبو موسى من ٤٤١ إلى ٤٤٦.

السببية: من الموضع التي أشار فيها صاحب الكشاف إلى علاقة السببية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى "ذلك عيسى بن مريم قوله الحق.." (١) فقد قال : " وإنما قيل لعيسى كلمة الله ، وقول الحق؛ لأنَّه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها ، وهي قوله (كن) من غير واسطة أب ، تسمية للمسبب باسم السبب ، كما سمي العشب بالسماء ، والشحم بالندى...". (٢) فكلمة الله ، أو قول الله سبب في وجود نبي الله عيسى - عليه السلام - فأطلق السبب على المسبب.

الكلية : ألمح إلى هذه العلاقة في بعض الموضع، منها ماجاء عند تفسير قوله تعالى "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" (٣)
وقوله "فاقتطعوا أيديهما" (٤) فقد بين أن المراد بالأيدي بعضها "الذى هو إلى المرفق ، والذى إلى الرسغ" * (٥).

فقوله (الذى هو إلى المرفق) عائد إلى قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) لأن من المعلوم أن غسل الأيدي في الرضو، يكون إلى المرافق، وقوله (والذى إلى الرسغ عائد إلى قوله تعالى (فاقتطعوا أيديهما) لأن قطع يد السارق يكون إلى الرسغ) (٦).

(١) مريم / ٣٤ .

(٢) الكشاف ٤١٠/٢ .

(٣) المائدة / ٦ .

(٤) المائدة / ٣٨ .

(٥) الكشاف ٤٢/١ .

(٦) ينظر تفسير القرطبي / ٢١٦٨ ط الشعب .

وينا على ماذكره يكون إطلاق الأيدي على بعضها مجازا
مرسلا علاقته الكلية، لأن "اليد اسم لهذا العضو إلى المنكب" (١).

المجاورة : أوما إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى "قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بفتحة" (٢).
فقد قال : "حتى غاية لكتذبوا، لا تخسروا؛ لأن خسرا نهم لا
غاية له أى ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم، وقت مجيء الساعة،
فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم؟ قلت لما كان الموت وقوعا في
أحوال الآخرة، ومقدماتها ، جعل من جنس الساعة ، وسمى باسمها،
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته" (٣).

فكلامه واضح في أن المراد بالساعة في الآية الموت ، وعلى
ذلك يستقيم اعتبار (الساعة) في الآية شاهدا على علاقة
المجاورة (٤) وإن كان في النفس مما قاله شئ: لأن الظاهر - والله
أعلم - أن الساعة في الآية هي القيمة، وسميت القيمة ساعة
لسرعة الحساب فيها (٥).

(١) ينظر التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازي ٦ ٢٣١/١.

(٢) الأ正宗 / ٣١.

(٣) الكشاف ١٠/٢.

(٤) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري / ٤٤٤.

(٥) ينظر تفسير القرطبيين / ٢٤٠٨ ط الشعب .

الأالية : أشار إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى "وَيُشَرِّكُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدْمٌ صَدِيقٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ" (١).
فقد قال : " .. (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلًا ومنزلة
رفيعة، فإن قلت لم سميت السابقة قدماً قلت لما كان السعي والسبق
بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً ، كما سميت النعمة يداً،
لأنها تعطى باليد ، وباعا لأن صاحبها يبوع بها فتيل للهلال قدم في
الخير..." (٢) فقد جعل إطلاق القدم على السعي ، والسبق في ضروب
الخير من إطلاق الآلة على أثرها (٣).

المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦ هـ :
استخرجت من كلام الإمام الرازى في تفسيره ثمانى عشرة
علاقة من علاقات المجاز المرسل وهي ١- السببية ٢- المسببية
٣- الأالية ٤- إطلاق المعلول على العلة ٥- المجاورة
٦- إطلاق الدليل على المدلول ٧- الملازمة ٨- اللازمية
٩- اعتبار مكان ١٠- اعتبار ما يكون ١١- الجزئية
١٢- الكلية ١٣- العموم ١٤- المحلية ١٥- الحالية
١٦- التعلق ١٧- الضدية ١٨- إطلاق الأثر على المؤثر.

(١) يونس / ٢.

(٢) الكشاف / ١٨٠ / ٢.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري / ٤٤٤ - ٤٤٥.

وقد بسطت القول في هذه العلاقات في رسالتى التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه^(١).

وبيّنت أنه يمكن رد بعضها إلى بعض ، فيمكن رد إطلاق المعلول على العلة ، وإطلاق الأثر على المؤثر - إلى علاقة المسببية^(٢) ورد إطلاق الدليل على المدلول إلى المجاورة ، لأنه يتخيّل مجاورة كل منهما للأخر ، كما في قولهم فهمت الأنفاظ ، والمقصود المعانى ، أو المحلية ؛ لأنه يتخيّل أن الدال محل للمدلول أو السببية ، لأن الدال سبب في فهم المدلول^(٣) .

ونوهت بأنضليته وسبقه إلى ذكر هذه العلاقات الكثيرة التي أربت على ما ذكره بعض البلاغيين الذين جاءوا من قبله مثل الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وبعض الذين جاءوا من بعده مثل الخطيب القزويني ، وقلت لعله أفاد تلك العلاقات الكثيرة من علماء الأصول وهو علم من أعلامهم^(٤) .

المجاز الموسّل عند السكاكيين ت ٦٣٦ هـ :

بعد هذه الرحلة مع المجاز المرسل ، أو إن شئنا الدقة مع ماهية ذلك المجاز وحقيقة - وجدنا (أبا يعقوب السكاكي) يطلق عليه

(١) المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي من ١٦٦ إلى ٢٠٨ رسالة دكتواره مخطوطه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) نفسه / ١٧٣ ، ٢٠٨ .

(٣) نفسه / ١٧٥ وحاشية الإنباوى على الرسالة البيانية / ٢٤١ .

(٤) المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي / ٢١٦ .

مصطلاح المجاز المرسل، وقد جاءت هذه التسمية في كلامه صريحة وهو يتحدث عن الحقيقة، والمجاز، والكتابية ، فقد قال "... والأول هو الاستعارة ، والثانى هو المجاز المرسل .."^(١) وقال بعد ذلك بتلخيص "... وعرفنا تنوع المجاز إلى مرسل مفيد ، وغير مفيد ، وإلى استعارة مصرح بها ، ومكنتى عنها"^(٢).

ويبدو أنه استلهم هذه التسمية من بيان الشيخ عبد القاهر، وأفادها من كلماته الموحية التي سطرها يراعى في كتابه (أسرار البلاغة) فقد جاءت كلمة (مرسل) في كلامه بمعنىين لهما اتصال وثيق بالمجاز المرسل أحدهما: التشبيه الحالى عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة، وما قاله في ذلك " إنك لا تجربى اسم المشبه به على المشبه حتى تدعى أنه قد سار من ذلك الجنس نحو أن يجعل الرجل كأنه في حقيقة الأسد .. وكيف السبيل إلى دفعه ، وعليه المعول في كون التشبيه على حد المبالغة، وهو الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه المرسل "^(٣).

ثانيهما: عدم التقييد فقد قال وهو يتكلم عن الفرق بين فعل الريب، وفعل الحى القادر " وإثبات الفعل من غير أن يقييد بما وقع الإثبات له لايصح الحكم عليه بمجاز، أو حقيقة، فلا يمكنك أن تقول

(١) المفتاح / ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) نفسه / ١٩٦.

(٣) أسرار البلاغة / ٣٣٠.

إثبات الفعل مجاز ، أو حقيقة هكذا مرسل ، وإنما تقول إثبات الفعل للربيع مجاز . وإنماه للحق القادر حقيقة^(١) .

فنجده قد استعمل كلمة (مرسل) بمعنى عدم التقييد ، وخلو التشبيه عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة ، وببدو أن ما يتردد في كتب البلاغة من أن هذا المجاز سمى مرسل : لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة ، أو لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة^(٢) مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر المتقدم وكان المأمول أن يقرن السكاكي هذا الاسم أيضا بالعلاقات التي ذكرها في موضع آخر^(٣) ليكون أتم للفائدة ، ولكنه لم يفعل ، وحسبه أنه أحرز قصبات السبق ، وأخرج هذا المصطلح إلى عالم الوجود .

وقد عرض السكاكي لبعض علاقات المجاز المرسل ، وصرح باسم بعضها أثناه إلقاء الضوء عليها و هذه العلاقات هي :

السيبية : ذكر السكاكي هذه العلاقة صراحة في قوله " و نحو أن يراد النسب بالغائب كما يقولون رعينا غيشا لكون الغائب سببا فيه "^(٤) .

(١) نفسه / ٣٣٢ - ٣٣٣ . وينظر المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) ينظر - مثلا - الأطول ، للعصام ١١٨/٢ .

(٣) المفتاح / ١٧٢ - ١٧٤ .

(٤) المفتاح / ١٧٣ .

فإطلاق الغيث على النبات مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن الغيث سبب في النبات، ومعلوم أن الغيث لا يرعى ، وإنما يرعى النبات الذي الغيث سبب فيه ، قوله (.. لكون الغيث سبباً فيه) صحيح في ذكر اسم هذه العلاقة.

وأشار إليها أيضاً في قوله "نحو أن تراد النعمة باليد ، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث إنها تصدر عن اليد ، ومنها تصل إلى المقصود بها .." (١).

وكلامه في الموضوعين السابقين مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٢) وألمح السكاكي إلى هذه العلاقة في قوله "وقول القائل : ... يأكلن كل ليلة إكانا

أى علفاً بشمن إكاف للتتعليق بين ذلك العلف ، وبين الإكاف ، وقولهم أكل فلان الدم أى الديمة ، للتتعليق بينهما" (٣).

واضح أن إطلاق الإكاف على العلف من قبيل علاقة السببية ؛ لأن الإكاف بيع واشتري بشمنه علف ، والدم الذي سفك من القتيل سبب في الديمة التي يشتري منها ولـى القتيل ما يقتات به ، فإطلاق الدم على الديمة ، لأنـه سبب فيها من إطلاق السبب على المسبب . ولعله قد تأثر الزمخشري في المثالين الآخرين فقد قال عند تفسير

(١) نسـ / ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) أسرار البلاحة / ٣١٧ - ٣١٨.

(٣) المفتاح / ١٧٣.

قوله تعالى " أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار " (١) .. ومنه قولهم أكل مسلمان الدم إذا أكل الديبة التي هل بدل منه قال (أكلت دماً إن لم أر عك بضررة) وقال (يأكلن كل ليلة إكافاً).
أراد ثمن الإكاف ، فسماء إكافاً لتلبسه بكونه ثمناً له " (٢).

المسبيبة: تكلم عن هذه العلاقة، وصرح باسمها في بعض الموضع من حديثه عنها فقد قال " ومن أمثلة المجاز قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله) (٣) استعملت قرأت مكان أردت القراءة؛ لكون القراءة مسببة عن إرادتها استعمالاً مجازياً بقرينة الفاء في (فاستعد) والسنة المستفيضة بتقديم الاستعارة ، ولا تلتفت إلى من يؤخر الاستعارة ، فذلك لضيق العطن، وقوله (ونادي نوح ربه) (٤) في موضع أراد نداء ربه بقرينة (فقال رب) وقوله (وكم من قرية أهلكتها) (٥) في موضع أرداها هلاكتها بقرينة (فجاءها بأنسنا) والباس الإهلاك ... " (٦) فقوله في إثر آية (النحل) (لكون القراء

(١) البقرة / ١٧٤.

(٢) الكشاف ١/٠٠٨.

(٣) النحل / ٩٨.

(٤) هود / ٤٥.

(٥) الأعراف / ٢.

(٦) المتنبأ / ١٧٣.

مسبية عن إدارتها صريح في أنه ذكرها باسمها، ولعله متأثر بكلام صاحب الكشاف حول هذه الآيات فقد ذكر أن الإهلاك للقرية معناه أرداها إهلاكها^(١) والنداء في آية هود (إرادة النداء)^(٢) والقراءة في آية (النحل) (أردت قراءة القرآن)^(٣).

المجاورة : وأشار إلى علاقة المجاورة في قوله " .. ونحو أن تراد المزادة بالرواية وهي في الأصل اسم للبعير الذي يحملها ، للعلاقة الحاصلة بينها وبينه يسبب حمله إياها ، أو أن يراد البعير بالخض ، وهو متع البيت... "^(٤).

المجازية : وأوحا إلى علاقة المجازية في قوله " ونحو أن يراد الرجل بالعين إذا كان ربيئة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله " ^(٥).

ولم يقتصر السكاكي علاقات المجاز المرسل في تلك العلاقات التي سلف ذكرها؛ لأن علاقة الملاسة ، والتعلق تتسع لكثير من العلاقات ولذلك قال بعد أن ذكر العلاقات السابقة " ... وأمثال ذلك مما تعدى الكلمة بمعونة القرينة عن معناها الأصلي إلى غيره ، لتعلق بينهما بوجه قويا أو ضعيفا ، واضحا أو خفيا ... "^(٦).

(١) الكشاف ٥٣/٢.

(٢) نفسه ٢١٨/٢.

(٣) نفسه ٣٤٣/٢.

(٤) المنتاح / ١٧٣.

(٥) نفسه / ١٧٣.

(٦) المنتاح / ١٧٤.

المجاز المرسل عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩ هـ :

جاء الخطيب، فوجد السكاكي قد سمي هذا المجاز باسمه (المجاز المرسل) وأخذ هذا المصطلح الجديد مكانه في ساحة الدرس البلاغي بعد أن كان معروفاً من قبل عن طريق ملابسات المعنى الأصلي ، والمعنى المجازي - فذكر كثيراً من علاقاته منضوية تحت اسمه في موضع واحد فقال في (تلخيص المفتاح) " .. والمرسل كاليد في النعمة ، والرأبة في المزادة ، ومنه تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الربيبة ، وعكسه كالأصابع في الأنامل وتسميته باسم سببه نحو رعينا الغيث ، أو مسببه نحو أمطرت السماء نباتاً ، أو ما كان عليه نحو (وأتوا البيتامي أموالهم)^(١) أو ما يشول إليه نحو (إنى أراني أعصر خمرا)^(٢) أو محله نحو (فليذبح ناديه)^(٣) أو حالة نحو (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله)^(٤) أى في الجنة ، أو آلت به نحو (وأجعل لى لسان صدق في الآخرين)^(٥) أى ذكرها حسناً^(٦) .

(١) النساء / ٢٧.

(٢) يوسف / ٣٦.

(٣) العلق / ١٧.

(٤) آل عمران / ١٠٧.

(٥) الشعراء / ٨٤.

(٦) تلخيص المفتاح / ٨٠-٨١.

وينظر بقية الإيضاح / ٩١-١٠٤.

وقوله في صدر كلامه "كاليد في النعمة" إشارة إلى علاقة السببية، وقد ذكرها باسمها خلال كلامه في قوله (نحو رعينا الغيث، قوله عقب المثال الأول (والراوية في المزادة) إشارة إلى علاقة المجاورة، وقد صرخ باسمها في الإيضاح^(١) وكان عليه أن يذكر هذه الأمثلة في مواضعها^(٢).

والعلاقات التي ذكرها (تسعة علاقات ، وذكر قبلها الراوية للمزادة ، وهو من مجاز المجاورة ، وكأنه استغنى به شاله عن ذكره ، فحاصل ما ذكره عشرة)^(٣) ويشعر كلامه في تلخيص المفتاح أنه لم يقصد حصر علاقات هذا المجاز في تلك التي ذكرها ، كما ينبغي بذلك قوله في صدر العلاقات التي عددها (ومنه تسمية الشئ باسم جزئه...) ولو كان مراده حصرها ، لقال - مثلا - وهذه العلاقات هي ... ولم يقل (ومنه ...).

وقد يؤيد هذا الفهم أنه قال في الإيضاح عقب علاقات المجاز المرسل "... وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ ، وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه"^(٤) وهو في ذلك سائر على نهج السكاكي ،

(١) نفسه / ٩١.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ليهاء الدين السبكي ١٤ / ٣٦ شروح التلخيص .

(٣) نفسه ٤٣/٢.

(٤) بقية الإيضاح ١٠١/٣.

ومتابع له، فهو لم يرد حصر العلاقات، وإنما ذكر نماذج منها ، وترك الباب مفتوحا أمام غيرها من العلاقات ، والملابسات التي تقوم ، وتتواصل على روابط بعيدة عن التشبيه.

ولعله من أجل ذلك لم تتفق كلمة البلاغيين على عدد معين من تلك العلاقات، فصاحب المطول يقول:

" وأنواع العلاقة المعتبرة كثيرة يرتكب ما ذكره إلى خمسة وعشرين .."^(١) وبها، الدين السبكي يقول " وقد ذكر غيره - أى غير الخطيب - علاقات كثيرة تقارب هى وما ذكرناه أكثر من ثلاثين .."^(٢)، وقد عدد الإمام الزركشى من هذه العلاقات ستة وعشرين ^(٣) وقال صاحب الرسالة البيانية (علاقات المجاز المرسل على التحقيق تسعة عشر) ^(٤).

وليس من هدف هذا العمل تتبع هذه العلاقات ، وتحديد عددها.

(١) المطول / ٣٥٥.

(٢) عروس الأفراح ... ٤٢/٤ شروح التلخيص .

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ٢٥٩/٢ - ٢٩٨ .

(٤) الرسالة البيانية ، للصبان / ١٩٦ .

الفصل الثاني

علاقات المجاز المرسل في لسان العرب

- ١ - السبيبية.
- ٢ - المسبيبية.
- ٣ - الآلية.
- ٤ - المجاورة.
- ٥ - اعتبار مكان .
- ٦ - اعتبار ما ينول إليه .
- ٧ - الكلية.
- ٨ - الجزئية .
- ٩ - المحلية .
- ١٠ - الحالية.

السببية

هي كون الشيء سبباً ومؤثراً في شيء آخر..^(١) نحو قولهم
رعينا غينا أي نباتاً حاصلاً بالغيث^(٢).

وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة على صور مختلفة:
إحداها: أنه كان يصرح بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز،
وان كان لم يذكر اسم أو نوع هذا المجاز، ومن هذه الموارض ما ذكره عند
تناوله لبعض آى الذكر الحكيم، فقد صرخ بأن استهزأوا الله عز وجل
في مقابلة استهزأوا المنافقين مجاز ، ومخادعته - تعالى - في مقابلة
مخادعتهم مجاز، فقال : "... كقوله تعالى (إِنَّمَا تَنْهَى رَبُّكُمْ عَنِ الْمُجَازِيَّاتِ) ...^(٣) والاستهزأوا من الكفار حقيقة ، وتعليقه بالله عز
وجل مجاز جل ربنا وتقديس عن الاستهزاء ، بل هو الحق ، ومنه الحق ،
وكذلك قوله تعالى : "يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ"^(٤) والمخادعة من
هؤلاء فيما يخيل إليهم حقيقة ، وهي من الله سبحانه مجاز إنما
الاستهزاء والخداع من الله عز وجل مكافأة لهم ..^(٥)

(١) الرسالة البيانية للصبان / ١٩٧.

(٢) ينظر حاشة الإتهاب على الرسالة البيانية للصبان / ١٩٧.

(٣) البقرة الآياتان / ١٤، ١٥.

(٤) النساء / ١٤٢.

(٥) لسان العرب ٣/١٦٥ (رشد).

في إطلاق الاستهزا ، المتعلق بالله سبحانه وتعالى على معاقبتهم
ومجازاتهم مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب ، لأن
استهزا ، هم كان سببا في مكافأتهم على سوء عملهم ، ومثل ذلك
المخادعة الحاصلة منهم ، والمنسوبة إلى الله عز وجل .

وقد نظر صاحب اللسان المجاز في الآيتين السابقتين بقول عمرو
ابن كلثوم .

ألا لا يجهل أحد عليينـ

فتجهل فوق جهل المجاهلينـ

ثم عقب على البيت بقوله : " أى إنما نكافئهم على جهولهم " ^(١) .
 فهو يريد أن يقول إن قول الشاعر : (... فتجهل ...) ليس جهلا
على الحقيقة ، إنما هو مجازاة على الجهل السابق في البيت ، فأطلق
الجهل على المجازاة ، والمكافأة ؛ لأن الجهل الأول كان سببا في هذه
المجازاة ، فهو من إطلاق السبب على المسبب .

ولا يخفى أن الجهل في البيت ليس مقابلا للعلم ، وإنما هو الخفة
والطيش والتزق والسفاهة ^(٢) على حد قول حسان :

رب حلم أضاعه عدم المـ ل وجهل غطى عليه النعـ ^(٣)
فقد جعل الجهل مقابلا للحلم ، لا للعلم .

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) ينظر شرح العلاقات السبع ، للزوذني / ١٥١ .

(٣) البيت في لسان العرب ٣٢٧٣/٥ (غطى) .

ونظر صاحب لسان العرب المجاز في بيت عمرو بن كلثوم الذي تقدم ذكره، وما قبله بالمجاز في قوله تعالى : " فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمَا أَعْتَدَى عَلَيْكُم " (١) .

ولم يوضح مانع الآية الأخيرة من مجاز، ولكنه عرض له في موضع آخر بشيء من البسط ، والإيضاح، فذكر أن الاعتداء في قوله تعالى (فاعتدوا) ليس اعتداء على وجه الحقيقة، وإنما هو مجازاة على اعتداء ، فقال بعد أن أورد الآية الكريمة "سَمَاهُ اعْتَدَاهُ" : لأن مجازاة اعتداء فسمى بمثل اسمه ، لأن صورة الفعلين واحدة ، وإن كان أحدهما طاعة ، والآخر معصية .. (٢) .

فكلامه واضح في أن الاعتداء في قوله تعالى (فاعتدوا) مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب : لأن الاعتداء الأول سبب في هذا الرد ، وتلك المجازاة ، وإن كانت صورة الفعلين واحدة – كما قال – وقد وقفت أمام قوله (وإن كان أحدهما طاعة ، والآخر معصية) يقصد أن الاعتداء على الناس ابتداء ، معصية ، والاقتراض من المعتدي طاعة ، وتساءلت في نفسى هل يعتبر رد الاعتداء طاعة يشاب عليه فاعله مع دعوة الإسلام المترکزة في القرآن والسنة إلى العفو عن الناس ، والإعراض عن الجاهلين منهم . في مثل قوله تعالى : "...وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يَحْبُبُ الْمُحْسِنِينَ " (٣) ، وقوله " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأُجْرِهِ عَلَى اللَّهِ " (٤) .

(١) البقرة / ١٩٤.

(٢) لسان العرب ٤/٢٨٦٦ (عدا).

(٣) آل عمران / ١٣٤.

(٤) الشورى / ٤٠.

الذى يتصادر إلى نفسى - والله أعلم - أن من يجازى المسئ
بإساءته ، ويقتصر منه قد رفع الله عنه المراخدة ، كما ينطق بذلك قوله
تعالى " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل " ^(١) .
أما أن يكون ذلك من قبيل الطاعة التى يشأ عليها فاعلها ،
فهذا ما يحتاج إلى تحرير وتدقيق ليس هذا موضعه .

وكان جميلا من صاحب لسان العرب أن يلوح إلى أن أسلوب
هذه الآيات التى غير فيها بالسبب عن المسبب جار على نهج العرب
فى كلامهم ، وسائر على طريقهم المحبوب فى بيانهم ، فقد قال فى
إثر كلامه الذى سلف ذكره : "والعرب تقول ظلمنى فلان فظلمته أى
جازيته بظلمه والأول ظلم ، والثانى جزا ، ليس بظلم ، وإن وافق اللفظ
اللفظ... ^(٢) .

وهو بذلك يؤكد أن القرآن الكريم أنزله الله بلسان عربى مبين ،
وقد ساق صاحب لسان العرب أمثلة أخرى لهذا الأسلوب من كلام
العرب عندما تناول عقب كلامه السابق آية كريمة تشتمل على مثله
فقال .. مثل قوله (وجزا سينة سينة مثلها) ^(٣) السينية الأولى
سينية ، والثانية مجازة ، وإن سميت سينية ، ومثل ذلك فى كلام
العرب كثير يقال أثم الرجل يأثم إثما وأثمه الله على إثمه أى جازاه
عليه يائمه أثاما قال الله تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) ^(٤) .

(١) الشورى / ٤١.

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٨٤٦ (عدا) .

(٣) الشورى / ٤٠.

(٤) الفرقان ٦٨/ .

أى جزاء لأئمة، وقوله (إنه لا يحب المعتدين) المعتدون المجاوزون ما أمروا به^(١).

واضح من كلامه السابق أن السينية الثانية في الآية مجاز من إطلاق السبب على السبب، والذي يدل على أنها مجاز أن الله رفع السبيل والمؤاخذة عن فاعلها، فقال في عقب الآية التي ذكرت فيها "ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل"^(٢) ولو كانت سينية على الحقيقة ، ماصح ذلك^(٣).

وقد لحظت أن صاحب لسان العرب قد أورد في أواخر كلامه الذي نحن بسبيله قوله تعالى: "إنه لا يحب المعتدين" على أنه كما يسلو من سياق حديثه تذليل لقوله تعالى : "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه مثل ما اعتدى عليكم"^(٤) لأنها أقرب الآيات التي جاء فيها (اعتدا) والصواب أن تلك الآية قد ختمت بقوله تعالى: "واتقرا الله واعلموا أن الله مع المتقين".

وليس ببعيد أن يكون قد أورده على أنه تذليل لقوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا اعتدوا"^(٥) فإن صح

(١) لسان العرب ٢٨٤٦/٤ - ٢٨٤٧ (عدا).

(٢) الشرى / ٤١.

(٣) ينظر تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار / ٣٧٥ .

(٤) البقرة / ١٩٤.

(٥) البقرة / ١٩٠.

ذلك، فإنه يؤخذ عليه أنه فصله عن آيته بعده آيات ، وجعل الشقة بينهما بعيدة ، وأيضاً فإن هذه الآية قد ختمت بي قوله عز وجل : " إن الله لا يحب المعتدلين " ^(١) باظهار اسم الجلالـة ، ولعل ذلك سهو ، أو خطأ من النسـاخـ.

وماذكره صاحب لسان العرب حول الآيات التي سلفـتـ ، وأمثالها من كلام العرب مشهور متداول عند البـيـانـيين ^(٢).

وقد ذكر الخطيب القزوينـيـ في الإيضـاحـ ضمن أمثلـةـ السـبـبيةـ قوله تعالى : " فمن اعـتـدـىـ عـلـيـكـمـ فـاعـتـدـواـ عـلـيـهـ بـمـثـلـ ماـ اـعـتـدـىـ عـلـيـكـمـ " ^(٣) وقال : سـمـىـ جـزـاءـ الـاعـتـدـاءـ اـعـتـدـاءـ؛ لأنـهـ مـسـبـبـ عنـ الـاعـتـدـاءـ " ^(٤) وقولـهـ تعالى : " وجـزـاءـ سـيـئـةـ مـثـلـهاـ " ^(٥) وقال : " تـجـوزـ بـلـفـظـ السـيـئـةـ عـنـ الـاقـتصـاصـ؛ لأنـهـ مـسـبـبـ عـنـهاـ " ^(٦).

ثم قولـ عمـروـ بنـ كلـثـومـ :

الـأـلاـ لـاـ يـجـهـلـ أـحـدـ عـلـيـنـاـ فـتـجـهـلـ فـوـقـ جـهـلـ الـمـاهـلـينـاـ
وقـالـ " الجـهـلـ الـأـوـلـ حـقـيقـةـ ، وـالـثـانـيـ مـجـازـ عـبـرـ بـهـ عـنـ مـكـافـأـةـ
الـجـهـلـ " ^(٧).

(١) البقرة / ١٩٠.

(٢) يـنـظـرـ مـثـلـاـ تـأـوـيلـ مـشـكـلـ الـقـرـآنـ ، لـابـنـ قـتـيبةـ / ٣٧٧.

(٣) البقرة / ١٩٤.

(٤) بـغـيـةـ الـإـيـضـاحـ ٩٦/٣.

(٥) الشورى / ٤٠.

(٦) المرجـعـ نـفـسـهـ وـالـمـوـضـعـ.

(٧) المرجـعـ السـابـقـ المـوـضـعـ نـفـسـهـ.

وقد حاول بها ، الدين السبكي أن يجعل الجهل الشانى فى قول عمرو بن كلثوم المعتبر عنه بقوله (فنجهل) حقيقة ، وليس مجازاً ؛ لأنه زائد على الجهل الأول ، والزيادة جهل حقيقي ، ولكنه سرعان مارجع عوده على بيته ، وأبقاء على مجازيته فقال : "... ثم نقول (فنجهل فوق جهل الجاهلين) حقيقة قطعاً؛ لأن الجهل فوق جهل الجاهلين ليس مكافأة؛ لأنه ليس مثله، بل زائد عليه ، والزيادة على مقدار القصاص جهل بخلاف (مثل ما اعتدتم عليكم) .. وقد يجادب عنه بأن مقابلة التأديب بأكثر منه عند الجاهلية كان محموداً يتذمرون به، فليس جهلاً حقيقة، فنصح أن تسميه جهلاً مجازاً^(١).

ومن الموضع الذى صرخ فيها بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز ما ذكره فى قوله صلى الله عليه وسلم: " من ولى قاضياً ، فقد ذبح بغير سكين"^(٢) ، فقد ذكر أن الذبح فى الحديث مجاز عن الهلاك؛ لأنه من أسرع أسبابه . فقال بعد أن أورد الحديث:

"... معناه التحذير من طلب القضاء ، والحرص عليه أى من تصدى للقضاء وتولاه ، فقد تعرض للذبح فليحذر ، والذبح هنا مجاز عن الهلاك ؛ فإنه من أسرع أسبابه...".^(٣)

فالذبح فى الحديث ليس ذبحاً على سبيل الحقيقة، وإنما هو مجاز عن الهلاك.

(١) عروس الأنوار ٤/٣٨ شروح التلخيص .

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/٥٣.

(٣) لسان العرب ٣/١٤٨٥ (ذبح).

وقد بين صاحب لسان العرب أن فائدة قوله صلى الله عليه وسلم - (بغير سكين) وهو ما يbedo أنه ترشيح للمجاز تحتمل وجهين أحدهما: أن الذبح إذا كان بغير سكين، يكون تعذيباً للمذبوح، وهذا أبلغ في الخدر منه الثاني أنه هلاك الدين ذلك القاضي، لا لبدنه^(١). وليس في هذا الحديث تنفيذ من القضاء، أو انتهاص من رسالته السامية، وكذلك ليس فيه غض من قيمة القضاة، أو ازدراه بهم ، وإنما هو - كما يbedo - تحذير لنوع من القضاة ، ضعفنا في نزاهتهم، لا يتحرون الحق ولا يحكمون بالعدل.

ثانيهما: أنه كان أحياناً لا يصرح بالفظ المجاز، ويذكر بدلاً منه كلمة (سبب) أو نحو ذلك خلال توضيحه لحقيقة هذا المجاز ، وإلقاء الضوء عليه.

ومن هذا النوع ماذكره في بعض المراجع عندما قال:

من الأكلين الماء ظلماً فما أرى ببالون خيراً بعد أكلهم الماء
إنما يريد قوماً كانوا يبيعون الماء فيشترون بشمنه ما يأكلون ،
فاكتفى بذكر الماء الذي هو سبب المأكول عن ذكر المأكول^(٢) .

فالماء ليس مأكولاً، إنما المأكول شيء اشتري بشمن الماء ، فأطلق الماء وهو السبب على الشيء المأكول المسبب عن ثمن الماء ، والقرينة - كما يbedo - في البيت كلمة (الأكلين) التي عملت في لفظ الماء النصب ، ويدهى أن الأكل لا يكون للماء ، وإنما يكون للطعام.

(١) ينظر المصدر السابق الموضع نفسه.

(٢) لسان العرب ١٠١/١ (أكل).

ويبدو أن بيع الماء كان مذموما عند العرب؛ لكرمههم، وشغفهم بمال الأمور، والترفع عن سفاسفها، ولعل بعض أراذلهم كانوا يبيعونه، ويأكلون بشمنه، والبيت ينضح بهذا الدم، وإن كنا لاندرى شيئاً عن سياقه، ومناسبته؛ لأن الماء ضرورة من ضرورات الحياة، لا يستغني عنه كائن حي، وربما كان هذا هو السبب الذي حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الماء شركة بين الناس جمِيعاً عندما قال: "السلمون شركاء في ثلاث في الكلا والماء والنار" (١).
ويؤكد ما ذكره صاحب اللسان حول المجاز في البيت السالف الذكر أن ابن جنی عده من باب الاكتفاء بالسبب عن المسبب، وهذا يعني أن في البيت مجازاً مرسلًا علاقته السببية، وقد أورد البيت برواية أخرى لا تختلف عن تلك التي جاءت في لسان العرب إلا في كلمة واحدة هي الفعل (ذر) في صدر البيت بدلاً من حرف الجر (من)
فرواه على هذه الصورة:

ذر الأكلين الماء ظلماً فما أرى ينالون خيراً بعد أكلهم الماء
ثم أردف البيت بقوله: "يريد قوماً كانوا يبيعون الماء، فيشترون بشمنه ما يأكلونه، فاكتفى بذكر الماء الذي هو سبب المأكولة من ذكر المأكولة" (٢)، وقد لحظت أن كلمات صاحب اللسان تجاه المجاز في البيت مأخوذة ينصها وفصها من كلام ابن جنی، ولعله ناقل عنه مباشرةً، أو آخذ عن نقل عنه.

(١) سن أبي داود، كتاب البيوع، باب في منع الماء، ٢٧٨/٣.

(٢) الخصائص، لابن جنی ١٥٢/١ تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر لبنان - بيروت ط ثانية.

ومن هذا النوع الذى صرخ فيه صاحب اللسان بكلمة (السبب) ماذكره من إطلاق الإملاق : وهو كثرة إنفاق المال ، وتبذيره على الافتخار فقد قال : " الإملاق الافتخار قال الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) " (١) .

وفي حديث فاطمة بنت قيس أما معاوية فرجل أملق من المال (٢) أى فتير منه قد نفدت ماله ، يقال أملق الرجل فهو ملقي ، وأصل الإملاق الإنفاق يقال أملق مامعه إملاقا ، وملقه ملقا إذا أخرجه من يده ، ولم يحبسه ، والفقر تابع لذلك ، فاستعملوا لفظ السبب فى موضع المسبب حتى صار به أشهر ... " (٣) .

ويتابع صاحب اللسان كلامه قائلا:

" ... والإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ...
وقيل الملق الذى لا شئ له .. " (٤) .

فكلامه صريح فى أن إطلاق الإملاق على النقر ، من إطلاق السبب على المسبب : لأن الإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره ، والفقر تابع لذلك ، ومضمون كلام صاحب لسان العرب أن هناك فرقا بين الإملاق والفقر ؛ فالإملاق افتخار أتى بعد غنى ووجد ، جلبه الإسراف والتبذير ، والفقر العدم ابتداء .

(١) الأئم / ١٥١.

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير
٤٢٦٥/٦ .

(٣) لسان العرب ٤٢٦٥/٦ (ملق).

(٤) المصادر نفسه والموضع.

وقد ذكر في آخر كلامه الذي نقلته آنفاً قوله آخر هو أن الملق هو الذي لا شئ له، وعلى هذا الرأي لا يمكن ما نحن فيه ، وقد أورد هذا الرأي بصيغة (قيل) التي تدل على ضعف هذا الرأي عنده، وأنه يفضل القول بأن الإللاق هو الفقر أو الافتقار الذي جاء من السرف والتبذير.

وقد يؤيد هذا الرأي ويسانده قوله الزمخشري أملق الدهر ماله أذله، وأخرجه من يده ، وأملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر..^(١). والذى يهمنا في هذا المقام أن العرب استعملوا لفظ الإللاق بمعنى الفقر استعمالاً للسبب مكان المسبب، فيكون مجازاً مرسلًا علاقته السببية ، ويظهر أن هذا المجاز قد شاع واشتهر عندهم حتى صار حقيقة في الفقر، ولعله من أجل ذلك ذكر كثير من المفسرين أن الإللاق في قوله تعالى (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق)^(٢) هو الفقر^(٣) دون أن يلقو بالاً لكون هذا الفقر أصيلاً أو طارئاً : لأن هذا لا يتعلّق به غرض من الأغراض^(٤).

(١) أساس البلاغة (ملق).

(٢) الأنعام / ١٥١.

(٣) ينظر الكشاف ٢/٨٤ والتفسير الكبير ، ٢٤٥/١٧ ، وتفسير ابن السعد ١٩٨/٤/٢ ، وتفسير البيضاوي / ٢٢٠.

(٤) ذكر أبو هلال العسكري أن الملق مشتق من الملق، وهو الخضوع والتضرع ، ولما كان التضرع في أغلب الأحوال خاضعاً متضرعاً سمي ملقاً، ولا يمكن إلا بعد غنى ثم قال: "ويجوز أن يقال إن الإللاق نقل إلى عدم التمكن من النفقة على العيال..."

الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري / ١٧١ منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط خامسة ١٩٨١م.

ثالثاً، أنه كان في بعض الأحيان لا يصرح بلفظ المجاز ، ولا بكلمة السبب أو نحوها ، ولكن عرضه لمعنى المجاز أو بيانه مدلوله يشعر أنه يقصد هذا النوع من المجاز أعني إطلاق السبب على المسبب.

من ذلك ما ذكره عند تناوله لمادة (رحم) فقد قال: "... وسمى الله الغيث رحمة؛ لأنَّه برحمةه ينزل من السماء" (١).

فقوله (الله برحمةه ينزل...) ينبيء أن الرحمة سبب في إزالة الغيث ، وهو مسبب عنها ، وهذا مجاز مرسل علاقته السببية ..

ولم يصرح في هذا الموضع إلا بهذه الكلمات المقتضبة حول هذا المجاز ، ولم يوصي إلى الآية الكريمة التي سمى الله فيها الغيث رحمة ، ولعله يشير إلى مثل قوله تعالى: "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته" (٢).

فإن رحمته في هذه الآية يراد بها - والله أعلم - الغيث ، وقد صرخ بذلك غير واحد من المفسرين فقد قال صاحب الكشاف: "... (بين يدي رحمته) أسام رحمته ، وهي الغيث الذي هو أتم النعم.." (٣) وعبارة البيضاوي وأبي السعود "قادم رحمته التي هي المطر" (٤) وظاهر أن أبي السعود قد نقلها عن البيضاوى ، وكلاهما يرتفع من بيان جار الله الزمخشري ، ويغترف من علمه الغزير.

(١) لسان العرب ٣/٦٦٣ (رحم).

(٢) الأعراف / ٥٧ .

(٣) الكشاف ٢/٦٦ .

(٤) ينظر تفسير البيضاوى / ٢٣٠ ، وتفسير أبي السعود ٤/٢٣٤ .

ومن هذا القبيل ما ذكره حول قول الراجز :

إن لنا أحمرة عجافاً يأكلن كل ليلة إكافاً

فقد قال في إثره: "أى يأكلن ثمن إكاف أى بياع إكاف وبطعم
بشننه ، ومثله نطعمها إذا شتت أولادها أى ثمن أولادها ، ومنه المثل
تجويع الحرة، ولا تأكل ثدييها^(١) أى أجرة ثدييها"^(٢).

واضح أن في (إكاف) مجازاً مرسلًا علاقته السببية، استعمل
فيه السبب مكان المسبب ، إذ المراد به علف يشتري بثمن إكاف ،
والقرينة على ما يبذلو قوله (يأكلن) لأن الإكاف ، وهو البردعة^(٣)
لابؤكل ، وكذلك المراد بأولادها في قوله (نطعمها إذا شتت أولادها)
ثمن أولادها ، والمراد بشديتها في المثل أجرة رضاع ثدييها.

ونلحظ في يادى النظر أن السببية في جميع تلك الأمثلة
ليست مباشرة؛ لأن الإكاف - مثلاً - أطلق على ثمنه ، ثم أطلق ثمنه
على ما يشتري به، ورؤكل ، وهو العلف؛ لذلك قال صاحب بغية الإيضاح

(١) أى لا تكون مرضعة وإن أذاها الجوع ، وبروى بشديتها ، ومعناهما
واحد لأن معنى لا تأكل ثدييها لا تأكل أجرة ثدييها ، ومعنى بشديتها
أى لا تعيش بسبب ثدييها ، فيما يفلان عليها . مجمع الأمثال ،
للميدان ١٢٢/١٢٢ . تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ،
مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م.

(٢) لسان العرب ١٠٠/١ (أكل).

(٣) ينظر المعجم الوجيز مادة (أكف) إصدار مجمع اللغة العربية -
القاهرة.

عن المجاز في هذا الشال إنه - أى الإكاف - "يجوز أن يكون مجازا عن ثمنه، ثم صار مجازا عن العلف ، فيكون مجازا على مجاز" (١). وسنعرض - إن شاء الله- فيما يأتي لاستعمال المجاز على المجاز.

ومن هذا الضرب الذي لم يصرح فيه بكلمة المجاز، أو بكلمة السبب، أو نحوها - ماجاء في الحديث الذي أورده صاحب لسان العرب وهو يتناول معنى (التنور) الذي يخبر فيه (٢) فقد قال : "... وفي الحديث قال لرجل عليه ثوب معصفر: لو أن ثوبك في تنور أهلك ، أو تحت قدرهم ، كان خيرا (٣) فذهب فآخره . قال ابن الأثير إنما أراد أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبيزه ، أو حطب تطيخ به، كان خيرا لك، كأنه كره الثوب المعصفر" (٤).

واضح من تعقيب ابن الأثير على الحديث المذكور أن في قوله صلى الله عليه وسلم (ثوبك...) مجازا مراسلا علاقته السببية حيث ذكر السبب ، وأرد به المسبب ، وهو ما يشتري بشمن الثوب من حطب ودقيق.

(١) بغية الإيضاح ٩٤/٣.

(٢) لسان العرب ١ / ٤٥٠ (تن).

(٣) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٩٩/١.

(٤) في المعجم الوجيز : يقال عصفر الثوب وغيرها صبغة بالعصفر ، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يصنع به الحبر ونحوه (مادة عصفر).

والقرينة في هذا الحديث - كما يبدو - معنوية لم يفطن لها هذا الرجل، فلا يتصور أن يطلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحد أفراد أمته أن يحرق ثوبه، ويتلف ماله^(١) ومن يدري لعله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من أحوال هذا الرجل ماليس مصرحا به في الحديث من فقره، وحاجته، وحاجة أهله إلى ثمن هذا الثوب ، يشترون به ما يسد رمقهم، أو يدفع مسفيتهم.

وقد يؤيد هذا الفهم إضافة (تنور) إلى (أهلk) في الحديث ، فهم المحتاجون إلى ثمن هذا الثوب ، الآخرين بأن ينتفعوا به، ولو كان الأمر كما قال ابن الأثير .. كأنه كره الثوب العصفر لأمره يتغيرة، أو نهاء عن لبسه.

(١) تباهى أحد الأساتذة الأجلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أحد أصحابه بحرق ثوبيه المعصريين ، فقد روى مسلم عن عبد الله بن عصرو - رضي الله عنهما - قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصريين فقال : ألمك أمرتك بهذا ؟ قلت أغسلهما قال : بل أحرقهما .

صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٧٨٨ ط الشعب .

ولايغنى أن هذا الحديث الذي رواه مسلم ليس فيه مجاز ، ولعله يمثل حالة خاصة رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا - رضي الله عنه ذا مال، ومسيرة ، فأراد أن يشدد عليه العقوبة زجرا له ولغيره عن مثل هذا الفعل - كما ذكر الإمام النووي في شرح هذا الحديث .

ينظر المرجع السابق الموضع نفسه .

يقيت كلمة تلح على نفسى أن أقولها فى هذا الرجل الذى جاء ذكره فى الحديث إن هذا الرجل كما بدا من صنيعه قوى الإيمان ، صادق مع الله ورسوله ، أطاع رسول الله فى أمر متوجه ، توهم أنه يريد منه أن يحرق ثوبه الذى يستره ، ويتجمل به فما تردد ، أو تلکأ ، أو جادل رسول الله فيما فهم من كلامه ، رضوان الله عليه.

ومن هذا القبيل الذى لم يصرح فيه بكلمة المجاز ، أو يذكر فيه كلمة السبب ، أو نحو ذلك ، ما أشار إليه من استعمال كلمة "اليد" فى معانٍ مجازية كاستعمالها فى النعمة ، لأنها سبب فى إيصالها إلى المنعم عليه فقد قال: "... واليد النعمة والإحسان تصطنعه ، والمنة ، والصناعة ، وإنما سميت يدا؛ لأنها إنما تكون بالإعطاء ، والإعطاء إلة باليد ، والجمع أيد ، وأياد جمع الجمع" (١).

فاليد بمعنى النعمة والإحسان مجاز مرسلاً علاقته السببية ، أطلق فيه السبب على المسبب ، وقد جاء على هذا النمط قول أبي الطيب المشهور :

له أياد على ساقستة أعد منها ولا أعددها
حکى صاحب لسان العرب عن أحد اللغويين أنهم يقولون "له
على يد ، ولا يقولون له عندي يد وأنشد :

له على أياد لست أكثراها وإنما الكفر لا تشكر النعم (٢)
ومن المعانى المجازية التى ألمح صاحب اللسان إلى أن اليد
 تستعمل فيها أيضاً القوة والقدرة والغنى فقد قال:

(١) لسان العرب ٤٩٥٢/٦ (يدى).

(٢) المصدر نفسه ٤٩٥٣/٦ (يدى).

".. والعرب تقول مالى به يد أى مالى به قوة، ومالى به يدان ،
ومالهم بذلك أيد أى قوة، ولهم أيد وأبصار، وهم أولو الأيدي
والأبصار، واليد الغنى والقدرة تقول مالى عليه يد أى قدرة" (١).
ونلحظ أن قوله : وهم أولو الأيدي والأبصار اقتباس من قوله
تعالى: "واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي
والأبصار" (٢).

وقد ذكر العلامة أبي السعود في تفسيره ما يؤيد هذا المعنى
الذى قاله لسان العرب فقد قال في معنى (أولى الأيدي والأبصار)
"أولى القوة في الطاعة وال بصيرة في الدين" (٣).

وقد تطرق البلاغيون إلى استعمال "اليد" في النعمة ، والقدرة ،
والقدرة، فذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني "أن اليد تقع للنعمـة ،
وأصلها المـارحة ، لأجل أن الاعـتبارات اللـغوية تتـبع أحـوال المـخلوقـين
وعـاداتـهم ، وما يـقتضـيـ ظـاهـرـ البـيـنـة ، وـمـوـضـوعـ الجـبـلـة ، وـمـنـ شـأنـ
الـنـعـمـةـ أنـ تـصـدرـ عنـ الـيـدـ وـمـنـهاـ تـصـلـ إـلـىـ الـمـقـصـودـ بـهـاـ ، وـالـمـوهـوـيـةـ هـىـ
مـنـهـ ، وـكـذـلـكـ الـحـكـمـ إـذـاـ أـرـيدـ بـالـيـدـ الـقـرـةـ وـالـقـدـرـةـ : لـأـنـ الـقـدـرـةـ أـكـثـرـ
مـاـيـظـهـ سـلـطـانـهـاـ فـيـ الـيـدـ وـهـاـ يـكـرـنـ الـبـطـشـ وـالـأـخـذـ وـالـدـفـعـ وـالـمـنـعـ
وـالـجـذـبـ وـالـضـرـبـ وـالـقـطـعـ .." (٤).

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) ص / ٤٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ٢٣٠/٧/٤ .

(٤) أسرار البلاغة / ٣٦ .

فاليد على وجه الحقيقة هي الجارحة التي خلقها الله للإنسان ، وزوده بها؛ ليستخدمها في قضاة حاجاته، وإظهار مهاراته ، وتدوين علومه ، وإتقان فنونه ، وقد تخرج عن ذلك المعنى الأصلي لمعان المجازية- كما أسلفت - لها صلة وثيقة بمعناها الأصلي ، ورابطة قوية لا تنفص عراها بين معناها الحقيقي ، ومعناها الذي خرجت إليه على سبيل المجاز، فاليد الحقيقة سبب في المعانى المجازية، وهى مسببة عنه " ولذلك تجدهم لا يرون باليد شيئاً لا ملائسة بينه وبين هذه الجارحة بوجه " (١) وكتب البلاشة على يكرة أبيها لاتقاد تخلو من إشارات إلى استعمال الكلمة اليد بمعنى النعمة مجازاً مرسلًا علاقته السببية (٢) ، لذلك لا أجد داعياً إلى ذكر المزيد من كلامهم في هذا الأمر.

وإذا كانت اليد قد أطلقت على أثرها كالنعمـة وغيرها ، فإن الإصبع قد أطلقت على الأثر الحسن؛ لأنها سببه أيضاً قال صاحب لسان العرب : " والإصبع الأثر الحسن يقال فلان من الله عليه إصبع حسنة أى أثر نعمة حسنة وعليه منك إصبع حسنة أى أثر حسن ... وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع .. ويقال للراعي على ماشيته إصبع أى أثر حسن ، وعلى الإبل من راعيها إصبع مثله، وذلك إذا أحسن القيام عليها فتبين أثره فيها قال الراعي يصف راعياً :

(١) المرجع نفسه والموضع.

(٢) ينظر - مثلاً - الطول / ٣٥٥ .

ضعيف العصا يادي العرق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
ضعيف العصا أى حاذق الرعية، لا يضرب ضربا شديدا يصفه
بحسن قيامه على إبله في الجدب ”^(١)“.

وضعيف العصا كنایة عن حسن الرعية، والعمل بما يصلحها،
وبحسن أثره عليها ”^(٢)“ فهذا الراعي شقيق على إبله أو غنميه ، رفيق
بها ” يرتاد لها أطيب المراعن ، ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها
من السباع ، ويكتنها من أذى المحر والقر ”.

وقد جعل الشيخ عبد القاهر الجرجاني إطلاق الإصبع على الأثر
الحسن عديلا لإطلاق اليد على النعمة فقال عقب فراغه من الكلام
حول إطلاق اليد على النعمة : ” ... ونظير هذا قولهم في صفة راعي
الإبل إن له عليها إصبعا أى أثرا حسنا وأنشدوا :

ضعيف العصا يادي العرق (البيت)
وأنشد شيخنا -رحمه الله- مع هذا البيت قول الآخر :

(صلب العصا بالضرب قد دمها)
أى جعلها كالدم في الحسن ”^(٣)“.

وقد بذلت أن ثم تعارضا بين كلام الشيخ عبد القاهر ،
وصاحب لسان العرب حول العلاقة في إطلاق الإصبع على الأثر
الحسن ، فلابن جعل الشيخ العلاقة بين الإصبع ، والأثر الحسن مناظرة

(١) لسان العرب ٤/٢٣٩٥ (صبع).

(٢) بفتح الإيضاح ٣/١٨١.

(٣) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

للعلاقة بين البد ، والنعمـة يعارضه فيما يقتراـه لـى قول صاحب اللسان - الذى سبق ذكره قرـيبا - " وإنما قـبيل للأثر الحسن إصـبع لإـشارة الناس إـلـيـه بالإـصـبع " لأنـه يـشعر أنـ العـلاقـة هـى المـسـبـيـة ؛ لأنـ الإـشـارـة بالإـصـبع مـسـبـيـة عنـ الأـثـرـ الحـسـنـ، وـقد يـقـوى ذـلـكـ المنـحـىـ قولـ الزـمـخـشـرـىـ: " وـرأـيـتـ عـلـىـ نـعـمـ بـنـ فـلـانـ إـصـبعـاـ لـهـمـ أـىـ يـشارـ إـلـيـهاـ بـالـأـصـبعـ لـحـسـتـهاـ وـسـنـهاـ وـحـسـنـ أـثـرـهـمـ فـيـهاـ .. " (١) .

فـإـنـ صـحـ هـذـاـ الذـىـ بـدـاـ لـىـ ، فـلـيـسـ حـتـمـاـ أـنـ يـكونـ هـذـاـ التـعـارـضـ نـاتـجـاـ عـنـ خـطـأـ فـىـ كـلـامـ هـؤـلـاءـ ، الأـعـلامـ الأـفـاذـ ، فـإـنـ لـكـلـ وجـهـتـهـ التـىـ يـكـنـ أـنـ نـسـتـشـفـهـاـ مـنـ خـلـالـ كـلـامـهـ ، دـوـنـ أـنـ نـجـدـ لـهـذـاـ التـعـارـضـ أـثـرـاـ ، أـوـ عـشـيرـاـ ؛ فـإـنـ الشـيـخـ عـبـدـ القـاـهـرـ يـكـونـ قدـ نـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ المـجاـزـ مـنـ تـاـحـيـةـ كـوـنـ إـصـبعـ سـبـبـاـ فـيـ أـثـرـهـاـ ، بـخـلـافـ مـاـ يـنـبـئـ بـهـ كـلـامـ صـاحـبـ لـسـانـ الـعـربـ ، وـالـزـمـخـشـرـىـ مـنـ كـوـنـ إـصـبعـ مـسـبـبـاـ عـنـ الأـثـرـ الحـسـنـ " وـلـاـ ضـيـرـ فـيـ تـعـدـ الـعـلـاقـاتـ فـيـ المـجاـزـ الـواـحـدـ ، وـمـدارـ الـفـرقـ بـيـنـهـمـاـ فـيـ الـعـلـاقـةـ المـقـصـودـةـ " (٢) .

وـقـدـ لـخـطـتـ أـنـ الشـيـخـ عـبـدـ القـاـهـرـ قدـ وـفـقـ بـيـنـ قـوـلـ الشـاعـرـ :

ضعـيفـ العـصـاـ بـادـىـ الـعـروـقـ تـرـىـ لـهـ عـلـيـهـ إـذـاـ مـاـ أـجـدـبـ النـاسـ إـصـبعـ
وـشـطـرـ الـبـيـتـ الـذـىـ أـنـشـدـهـ شـيـخـهـ لـشـاعـرـ آـخـرـ :
(صلـبـ العـصـاـ بـالـضـرـبـ قـدـ دـمـاهـاـ).

(١) أساس البلاغة (صـبـعـ) .

(٢) يـنـظـرـ حـاشـيـةـ الـخـضـرـىـ عـلـىـ شـرـحـ الـلـوـىـ عـلـىـ السـمـرـقـنـدـيـةـ / ٤٦ـ.

مبيناً أن معناهما وإن بدا في بادئ النظر متضاداً إلا أنهما يرجعان إلى غرض واحد هو حسن سياسة الرعية، والحرص على صلاح أمرها فقال: .. وكان قوله (صلب العصا) وإن كان ضد قول الآخر (ضعف العصا) فإنهما يرجعان إلى غرض واحد ، هو حسن الرعية، والعمل بما يصلحها ، وحسن أثره عليها ، فأراد الأول يجعله ضعيف العصا أنه رفيق بها ، مشفق عليها ، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لان من العصى ، وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها ، عارف بسياستها في الرعى ، يزجرها عن المراعن التي لا تحمد ، ويتوخى بها ماتسمى عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد...^(١) ويندو من توفيق الشيخ بين قول بعضهم (ضعف العصا) وقول الآخر : (صلب العصا) أنه استوعب كلام اللغوين فيما ، ثم عرضه بأسلوبه الجميل الأخاذ الذي يملأ العين جمالاً ، والأذن تشنيفاً ، فعلاوة على مانقلته عن صاحب لسان العرب في صدر هذا الحديث فقد وجده في موضع آخر ينقل عن الأزهرى قوله :

"ويقال للراعي إذا كان قرباً على إبله ، ضابطاً لها إنه لصلب العصا ، وشديد العصا ومنه قول عمر بن جا : (صلب العصا جان عن التغزل).^(٢)"

(١) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

(٢) لسان العرب ٢٩٧٩/٤ (عصا).

ثم يضيف صاحب اللسان قائلاً:
”ورجل لين العصا رفيق حسن السياسة لما يلى يكنون بذلك
عن قلة الضرب بالعصا، وضعيف العصا أى قليل الضرب للابل
بالعصا . وذلك مما يحمد به ...“ (١).

ويبدو من كلام اللغويين الذى أورده لسان العرب حول الكنياتين
(ضعيف العصا) و (صلب العصا) أن الشيخ قد تأثره وهو يتناول
الكتنaitين أنفسهما ، وأضفى عليه مسحة من جمال أسلوبه ، وسحر
بيانه.

وإذا كان الشيخ عبد القاهر قد اعتبر الهدف من قول الشاعر
(ضعيف العصا) وقول الآخر (صلب العصا) واحدا ، ووفق بينهما
على أنهما لقائين مختلفين ، فإنهى وجدت الكنياتين كلتيهما لشاعر
واحد، وفي بيت واحد وحتى لا يبدو هذا الكلام كأنه ضرب من التعمية
أو الإلباس، فإن بيت الراوى الذى سبق ذكره (ضعيف العصا..) قد
ذكره صاحب لسان العرب فى موضع آخر برواية أخرى بدأ فيها
البيت بقوله (صلب العصا..) فقال : ”... وقولهم فى الراوى
صلب العصا، وصلب العصا، إنما يرون أنه يعنف بالإبل قال الراوى:

صلب العصا يادى العروق ترى له
عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا (٢)

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧٦/٤ (صلب).

ولما كان هذا يعتبر تناقضاً نسب إلى الشاعر، فقد رجعت إلى ديوانه لأتبين أي الروايتين اللتين ذكرهما صاحب اللسان قالها الشاعر؟ وقد وجدت البيت في الديوان^(١) مبتدأ بقوله (ضعف العصا...) كما في الرواية التي جاءت في أسرار البلاغة^(٢) وفي بعض الموضع من لسان العرب - كما سبق - وبهون من هذا الأمر أن الغرض من الكنايتين واحد ، ثم إن اختلاف الرواية في الشعر العربي أمر معهود ، لأنغرابة فيه ، ولا يستبعد أن تكون رواية (صلب العصا) قد جاءت في إحدى نسخ الديوان المخطوطة ، لم يطلع عليها محققه.

بقيت كلمة فيما تعن بسبيله حول شطر البيت الذي نقله الشيخ عبد القاهر عن شيخه - وقد سلف ذكره قريباً - وهو:
صلب العصا بالضرب قد دماها
أي جعلها كالدمى في الحسن كما قال الشيخ^(٣) فقد عثرت على البيت كاملاً في لسان العرب^(٤) وهو بتمامه:

صلب العصا بالضرب قد دماها يقول ليت الله قد أفتاهها

(١) ديوان الراعي النميري ١٦٢ / جمده وحققه راينهارت فايبرت بيروت - ١٤٠١ ، دار النشر قرانتس .

(٢) أسرار البلاغة / ٢٨٣ .

(٣) أسرار البلاغة / ٢٨٣ .

(٤) لسان العرب ٥/٣٤٧٨ (فن) .

وقد أورد صاحب اللسان لقوله (قد دمها) معنيين غير المعنى الذي ذكره الشيخ عبد القاهر أحدهما أنه سيل دمها بالضرب، لخلافها عليه والثاني أنه دمها أى كساها السمن كأنه دمها بالشحوم؛ لأنه يرعيها كل ضرب من النبات.

وأورد لقوله (ليت الله قد أفنها) معنيين أيضاً أحدهما أنه دعا عليها بالهلاك والفناء، والثاني ليت الله قد أنبت لها الفنا، وهو عنب الذئب حتى تسمن وتغزز^(١).

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع.

المسببية

المسببية هي كون الشيء مسبباً عن شيء آخر نحو أمطرت السماء
نباتاً^(١) فإن النبات مسبب عن المطر ، والمطر سبب في إنباته ، ومثل
قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقله كذلك الإثم يذهب بالعقل
فقد أطلق الشاعر كلمة "الإثم" على الخمر ، لأنه ينشأ
عنها^(٢) من إطلاق المسبب على السبب ، ويبدو أن القرينة هنا "شربت"
لأن الإثم معنى من المعانى لا يشرب ، وكأن الشاعر أحسن أنه قد
اقترف إنما عظيماً ملاً عليه حسه ، وكيانه ، وملك شعوره ، ووجوداته ،
فأوْمأً بهذا المجاز إلى أنه حين شرب الخمر ، كان يعب ذنوبياً ، ويكرع
عصياناً.

وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على صور
مختلفة :

إحداها ، أنه قد أشار إلى أن التعبير بالسبب عن السبب
ضرب من التجوز ، وداخل في نطاقه ، فقد ذكر في أحد الموضع أن
إطلاق القول على الاعتقادات ، والأراء ، تجوز ؛ لأنها سبب فيه ، فقد
قال : " القول عند الحق كل لفظ قال به اللسان .. فاما تجوزهم في

(١) الرسالة البيانية ، للصياغ ، ١٩٧ .

(٢) ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني
٣٤ / ١٠ .

تسميتهم الاعتقادات والأراء، قوله، فلان الاعتقاد يخفي ، فلا يعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لاظهير إلا بالقول، سميت قوله : إذا كانت سببا له ، وكان القول دليلا عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له^(١).

فالاعتقادات سبب في القول الذي يترجم عنها ، ويزيل المستحسن منها ، والقول مسبب عنها ، فيقال - مثلا - فلان يقول برأي أهل السنة أى يعتقد معتقدهم ، وينهنج نهجهم ، قوله (... كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له) دليل على أن إطلاق القول على الاعتقاد مجاز مرسل ؛ لأنه هو الذي يبني على الملاسة ، والارتباط بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المجازى للنحو ، بعلاقة غير المشابهة.

ثانيتها، أنه صرخ عند بعض أمثلتها بأنها اتساع في اللغة ، فقد عرض لإطلاق الرزق على المطر في بعض الآيات القرآنية فقال " وقد يسمى المطر رزقا ، وذلك قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها) ^(٢) .

وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ^(٣) قال مجاهد هو المطر . وهذا اتساع في اللغة كما يقال التمر في قعر القليب يعني به

(١) لسان العرب ٥/٣٧٧٧ (قول).

(٢) الجانبي / ٥.

(٣) الذاريات ٤٤ / ٢٢.

سقى التخل^(١)" فالرُّزق في الآيتين يقصد منه المطر، لأنَّه الذي ينزل من السماء، والرُّزق مسبب عنه، ويؤكِّد ذلك المعنى قول صاحب الكشاف "وسمى المطر رزقاً؛ لأنَّه سبب الرُّزق" ^(٢).

و واضح أنَّ صاحب اللسان يريد بكلمة "اتساع" في كلامه السابق المجاز؛ لأنَّني وجدته في بعض المواقع يقرن كلمة المجاز بكلمة اتساع، وبعطفها عليها، مثل قوله "وقد يطلق الشيب على المرأة البالغة، وإن كانت بكرًا مجازاً واتساعاً" ^(٣) وهو في هذا سائر على نهج بعض الأقدمين، وحاذ حذوهم، فقد كان (سيبويه) - رحمة الله - يسمى المجاز توسعًا ^(٤).

وقد شبه صاحب اللسان إطلاق الرُّزق على المطر بإطلاق التمر على الماء في قوله (... كما يقال التمر في قعر القليب) ومعلوم أنَّ الذي في قعر القليب هو الماء، لا التمر، وإنما سمي الماء تمراً، لأنَّ الماء سبب التمر، وهو مسبب عنه، تسمية للسبب باسم المسبب.

ثالثتها، أنه قد يذكر أنه من الاكتفاء بالسبب عن المسبيب، دون إشارة إلى أنه مجاز، من ذلك ما أورده من إطلاق القراءة على

(١) لسان العرب ١٦٢٧/٣.

(٢) الكشاف ٣٦/٣، وينظر الكشاف أيضًا ٢٩/٤.

(٣) لسان العرب ٥٢٥/١ (تيب).

(٤) نقلًا عن الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم ، للدكتور على محمد حسن ٤٤/.

إرادتها ، والقيام على إرادته في بعض آى الذكر الحكيم ، فقد قال في أحد الموضع: "... وضده - آى ضد إطلاق السبب على السبب - قول الله تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ^(١) آى فإذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالسبب الذي هو القراءة من السبب الذي هو الإرادة ، ونظيره قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا قسمتم إلى الصلاة) ^(٢) آى إذا أردتم القيام إلى الصلاة ... " ^(٣) .

وغني عن البيان أن الاكتفاء بالسبب في الآيتين ، وهو قراءة القرآن ، والقيام إلى الصلاة عن السبب ، وهو إرادة القراءة والقيام - مجاز مرسل علاقته المسببة.

وتجدر بالذكر أن المجاز في الآيتين مشتهر شرود ، وقد أشار إليه من لاتخصي أسماؤهم من أهل العلم . ومن قبيل هذا الضرب الذي ذكر أنه اكتفى فيه بالسبب عن السبب قول الشاعر :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنی ولو تعزى عنها أم عمار

(١) التحل ٩٨/.

(٢) المائدة ٦/ .

(٣) لسان العرب ٥ / ٤٠٥٩ (الفع).

فقد قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيت "اكتفى فيه بالسبب الذي هو التهيج من السبب الذي هو التذكير؛ لأنه لما قال هيجني دل على ذكرني فنصبها به" (١).

فتشى الحمام ذكر الشاعر صاحبته "أم عمار" فهاج شوقه إليها، فأطلق الشاعر الفعل "هيج" على ذكر ، وبعبارة أخرى أطلق التهيج على التذكير؛ لأن تهيج الشوق مسبب عن التذكير بها. وقد عشرت على ما ذكره صاحب لسان العرب حول المجاز في البيت الذي تقدم ذكره موجوداً بقضه وقضيشه في كتاب المصنّص، لابن جنى ، فقد قال بعد أن ذكر البيت : "اكتفى فيه بالسبب الذي هو التهيج من السبب الذي هو التذكير؛ لأنه لما قال هيجني دل على ذكرني ، فنصبها به" (٢).

ولعل صاحب اللسان أخذ هذا الكلام من كتاب ابن جنى ، أو أخذه عن أحد اللغويين الذين أخذوا كلام ابن جنى ، وسطروه في بطون كتبهم .

واعتتها: أنه كان أحياناً يشرح حقيقة المجاز، ويوضح كنهه بما يدل على أنه من إطلاق السبب على السبب.

(١) المصدر نفسه ٤٧٣٢/٦ (هيج) .

(٢) المصنّص ، لابن جنى ٤٢٥/٢ .

من ذلك النوع ماذكره وهو يلقي الضوء على معنى الأثر في قوله صلى الله عليه وسلم "من سره أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمة" ^(١).
فقد قال بعد أن أورد الحديث: "الأثر الأجل، وسمى به : لأنه يتبع العمر .

قال زهير :

والمرء ما عاش مدود له أمل لاينتهي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر، ومنه قوله للذى مربى بين يديه ، وهو يصلى : قطع صلاتنا قطع الله عليه أثره ^(٢) دعا عليه بالزمانة؛ لأنه إذا زمـن انقطع مشيه فانقطع أثره ^(٣).
فأثر الإنسان ، وحركته في الحياة مسبب عن أجله، فإذا مات قامت قيامته ، وانقطع أثره ، فيكون في (أثره) مجاز مرسل علاقته المسببية.

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير . ٢٣/١

وينظر فتح الباري ٤٥٣/٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٤٢٢/٥ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير . ٢٣/١

وسن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يقطع الصلاة ١٨٨/١ .

(٣) لسان العرب ٢٥/١ (أثر).

وقد اقتصر صاحب اللسان تبعاً لابن الأثير^(١) على رأى واحد في معنى (الأثر) في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك الرجل، لكن ابن الأثير صاحب المثل السائر ذكر رأيين آخرين لمعنى قطع أثر هذا الرجل المشرك فقال: "ومن ذلك -أى من الاكتفاء بالسبب عن السبب- ما ورد في الأدعية النبوية، فإنه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره ، وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الأول أنه دعا عليه بالزمانة؛ لأنه إذا زمن لا يستطيع أن يمشي على الأرض، فينقطع حينئذ أثره الوجه الثاني أنه دعا عليه بآلا يكون له نسل من بعده، ولاعقب ، الوجه الثالث أنه دعا عليه بآلا يكون له أثر من الآثار مطلقاً ، وهو آلا يفعل فعلاً يبقى أثره من بعده كأننا ما كان من عقب أو بناء ، أو غراس ، أو غير ذلك"^(٢) . وقد روى أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصابت ذلك الرجل فأقعد ، ولم يستطع بعدها حراماً^(٣) . ومن هذا الشكل الذي يدل شرحه له على أنه مجاز مرسلاً من قبيل علاقة المسببية ما ذكره صاحب لسان العرب في مادة (قرمط) عندما قال: "القرمطي المتقارب الخطو ، وقرمط في خطوة إذا قارب

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٢/١.

(٢) المثل السائر ٨١/١.

(٣) ينظر سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يقطع الصلاة ١٨٨/١.

ما يبين قدميه، وفي حديث معاوية أنه قال لعمرو قرمطه ؛ قال لا ، يزيد أكترت ؟ لأن القرمطة في الخطرو من آثار الكبر " (١) .

واضح أن القرمطة أى تقارب الخطرو مسبب ، سببه الكبر، وتقديم السن فسيكون إطلاق القرمطة على الكبير مجازاً مرسلاً علاقته المسببية.

وعلى شاكلة هذا النوع أيضاً ما ذكره من إطلاق الموت على أسبابه في قوله تعالى : "... و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بيت" (٢) فقد قال إن " معناه - والله أعلم - أسباب الموت ، إذ لو جاءه الموت نفسه ، لما ت به لامحالة " (٣) .

واضح أن الموت في الآية ليس مراداً به الموت الحقيقي ، كما ينطق بذلك قوله تعالى (وما هو بيت) وإنما المراد به أسباب الموت ، المؤدية إليه ، فأطلق في الآية الموت على أسبابه ، إطلاقاً للمسبب على سببه ، وقد ألمح إلى ذلك صاحب الكشاف عندما قال في تفسير الآية التي نحن بصددها " كان أسباب الموت وأصنافه كلها قد تأليت عليه ، وأحاطت به من جميع الجهات تنظيماً لما يصيبه من الألام " (٤) .

(١) لسان العرب ٣٦٠٦/٥ (قرمط).

(٢) إبراهيم / ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ٤٢٩٥/٦ (موت).

(٤) الكشاف ٢٩٧/٢ .

الأالية

هي كون الشيء واسطة في إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر نحو قوله تعالى : " واجعل لي لسان صدق في الآخرين " ^(١) أي ذكرا صادقا وثناه حسنا ^(٢).

وقد جاء تناول هذه العلاقة في لسان العرب على صورتين : إدحاشما : أن يصرح بأن إطلاق اسم الآلة على أثرها مجاز ، فقد جاء في بعض الموضع " ودف الإناء قطر ، والودفة الشحمة ، وودف الشحم ونحوه يدف سال ، وقطر ... والأداف الذكر لقطرانه ، وفي الحديث في الأداف الديبة ^(٣) قال ابن الأثير سماه بما يقتضيه منه مجازا... " ^(٤).

واضح من كلام لسان العرب الذي نقل ابن الأثير أن الذكر سمى أدافا باسم ما يقتضيه عليه سبيل المجاز ، وغنى عن البيان أنه أداة القطر، أو آلة، وهذا يتدرج تحت معناه، البلاغيون بعلاقة الآلية.

(١) الشعراء ٨٤ / .

(٢) الرسالة البيانية للصبان ١٩٧ / .

(٣) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣١ / ١ .

وفى كتاب غريب الحديث ، لابن الجوزي ١٥ / ١ تعليق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ط أولى ١٤٠٥ هـ .

(٤) لسان العرب ٤٧٩٩ / ٦ (ودف).

وبينظر كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣١ / ١ .

ثانيةهما: أن يدل شرحه وتوضيحه لبعض أمثلة هذه العلاقة على حقيقتها دون تصریح بمجاز، أو نحوه ، من ذلك ما ذكره حول أشهر مثال لهذه العلاقة، وهو ما جاء في قوله تعالى : " واجعل لى لسان صدق في الآخرين " (١) .

فقد أورد ثم أتبعه بقوله : "... معناه اجعل لي ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر" (٢) ، ففسر اللسان ، وهو آلة الكلام بالثناء الحسن، والقول الطيب الجميل، وفي ذلك إيماء إلى علاقة الآلية. وقد ساق صاحب اللسان من كلام الشعرا ، واللغويين ما يدل على أن لفظ اللسان مذكر ، وقد يؤنث إذا نقل من معنى العضو والمحارحة إلى معنى الكلمة ، أو اللغة ، أو الرسالة فقال : " اللسان جارحة الكلام وقد يكتفى بها" (٣) عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى ياهلة :

إني أنتهى لسان لا أسر بها من علو لاعجب منها ولا سخر
قال ابن برى اللسان هنا الرسالة والمقالة ومثله :
إني أنتهى لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نكير
قال -أى ابن برى - وقد يذكر على معنى الكلام قال الخطيبية :
ندمت على لسان فات مني فللت بأنه فى جوف عكسم

(١) الشعرا ، ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٥/٤٠٣٠ (لسن).

(٣) سياقى إن شاء الله الحديث عن إطلاق الكنایة على المجاز المرسل.

... وإن أردت باللسان اللغة أنشت يقال فلان يتكلّم بلسان
ترمسه قال البحياني اللسان في الكلام يذكر ويؤثر يقال إن لسان
الناس عليك لحسنة وحسن أى ثناهم ... قوله عز وجل (وما أرسلنا
من رسول إلا بلسان قومه) (١) أى بلغة قومه ... (٢).
فإطلاق اللسان على الرسالة، أو المقالة، أو اللغة من إطلاق
الآلية على أثراها، وذلك مجاز مرسل علاقته الآلية.

والقول بأن اللسان في قول أعيش باهلهة (... أتنى لسان لا
أسر بها) يراد به المقالة، أو الرسالة هو الجدير بالقبول؛ لأنه يستبعد
أن يراد به الكلمة الواحدة؛ لأنها لاتسر، ولا تحزن اللهم إلا أن
يكون قد أريد بها الكلمات مجازاً مرسلًا علاقته المجزئية-كما سيأتي
بيانه - ومثل ذلك ماذكره صاحب لسان العرب في مادة (شفة) فقد
ذكر أن الشفة تطلق على الثناء الحسن فقال :

"... وما كلنته ببنت شفة أى بكلمة ، وللان خنيف الشفة أى
قليل السؤال للناس ، وله في الناس شفة حسنة أى ثناء حسن وقال
البحياني إن شفة الناس عليك لحسنة أى ثناهم عليك حسن وذكرهم
لك ... (٣)."

فإطلاق الشفة وهي من أعضاء النطق على السؤال ، أو الثناء
المجمل مجاز مرسل علاقته الآلية ، لأنها آلة من آلات مثل اللسان .

(١) إبراهيم .٤ / .

(٢) لسان العرب ٤٠٣٠ ، ٦٠٢٩/٥ (السن).

(٣) المصدر نفسه ٢٢٩٤ / ٣ (شفة).

وعلى ذلك فإنه من الممكن أن يدعوه داعريه محاكيها نبي الله
إبراهيم عليه السلام - فيقول لهم أجعل لى شفعة حسنة بين الناس
أى ثناءً حسناً ، وذكراً جميلاً.

ومثل ذلك ما ذكره من إطلاق الفوهة ، وهى الفم على القالة ،
والغيبة ، فقد قال فى أحد المواقع: "... وفاه بالكلام يفووه نطق ،
ولفظ به ... ورجل مفوه قادر على المنطق ، والكلام ، وكذلك فته ،
ورجل فيه جيد الكلام ، والمفسه المنطيق .. وإنه لذو فوهة أى شديد
الكلام ، بسيط اللسان ... وقولهم إن رد الفوهة لشديد أى القالة ،
وهو من فهتم بالكلام ، ويقال هو يخاف فوهة الناس أى قالتهم ،
والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم بعضاً بالغيبة ، ويقال من ذا يطيق
رد الفوهة ... " (١).

في إطلاق الفوهة أى الفم على القالة ، أو الغيبة ، أو بعبارة
أخرى إطلاق الفم على الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية.

(١) لسان العرب ٥/٣٤٩٥ - ٣٤٩٦ (فوهة).

المجاورة

هي كون الشئ مجاوراً للشئ آخر في مكانه ...^(١) فإذا طلاق
الشئ على ما يجاوره مجاز مرسل؛ لأن العلاقة فيه غير المشابهة.
وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة في أماكن
من كتابه وجاء تناوله لها على عدة وجوه :

أحدوها ، أن يصرح بكلمة المجاورة نفسها ، ويدرك أن إطلاق
الشئ على ما يجاوره مجاز فقد قال في مادة (ربد) :
"... وربد الإبل يربدها ربدا حبسها ، والمربي محبسها ... والمربي
الموضع الذي تحبس فيه الإبل وغيرها ... ومربي البصرة من ذلك
سمى؛ لأنهم كانوا يحبسون فيه الإبل ، وتقول الفرزدق :

عشية سال المريдан كلاما عجاجة مرت بالسيوف الصوارم

فإنه سماء مجازاً لما يتصل به من مجاورة ، ثم إنه مع ذلك
أكله ، وإن كان مجازاً ، وقد يجوز أن يكون سمي كل واحد من جانبيه
مربياً ... وقال الجمودي في بيت الفرزدق إنه عنى به سكة المربي
بالبصرة ، والسكة التي تليها من ناحية بني قيم ...^(٢).

فمربي البصرة واحد ، وقد سمي الفرزدق المكان الذي يجاوره
مربياً مجازاً فصارا مربيين ، أو أنه سمي كل واحد من جانبيه مربياً
مجاورتهما له ، أو سمي سكتى المربي من بدين لكونهما مجاورتين له
أيضاً.

(١) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٤١ مع حاشية الإتيان علىها.

(٢) لسان العرب ١٥٥٦ / ٢ ، ١٥٥٥ (ربد).

وقد وجدت بعض كلام صاحب لسان العرب حول بيت الفرزدق
ما خودا عن ابن جنى فقد ذكر أن العرب و Kendall المجاز، كما وكت
الحقيقة "وذلك قول الفرزدق:

عشية سال الميسدان كلامها سحابة موت بالسيوف الصوارم^(١)

وإنما هو مرید واحد فشناه مجازاً، لما يتصل به من مجاورة، ثم
إنه مع ذلك وكده وإن كان مجازاً، وقد يجوز أن يكون سمي كل واحد
من جانبيه مریداً^(٢).

وقد غير صاحب لسان العرب قول ابن جنى (نشناه مجازاً...)
إلى (سماه مجازاً) وتعبير ابن جنى هو الملاتم لسياق الكلام بعده،
ولعل ذلك سهو، أو خطأ من نسخ لسان العرب.

ثانيها: أن يذكر كلمة المجاز مطلقة على ما يعتبر من قبيل
المجاورة دون أن يصرح بكلمة المجاورة نفسها فقد ذكر أن كلمة (ثلاثة)
بنفتح الشاء، تطلق على جماعة الفنم، وتطلق على الصوف مجازاً
نقال: "الثلاثة جماعة الفنم، وأصواتها ابن سيده ثلاثة جماعة الفنم
قليلة كانت، أو كثيرة..." وفي حديث معاوية لم تكن أمة براعية ثلاثة

(١) في رواية ابن جنى للبيت كلمة (سحابة) بدل (عجباجة) وقد ذكر
محنت كتاب (المصائص) أن كلمة (عجباجة) موجودة بإحدى نسخ
الكتاب، ورواية لسان العرب هي المانعة لما في ديوان الفرزدق ج ٢
ص ٣١٩ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ.

(٢) المصائص، لابن جنى ٤٥٣/٢.

... عن ابن دريد يقال كسامه جيد الثلة أى الصوف، وحبيل ثلة أى صوف... وفي حديث الحسن إذا كان للميتين ماشية، فللوصى أن يصيّب من ثلثها، ورسلها، أى من صوفها، ولبنها قال ابن الأثير سمي الصوف بالثلة مجازاً^(١).

وقد اكتفى صاحب اللسان بإيراد كلمة (مجاز) دون أن يصرح، أو يلمح إلى نوع العلاقة فيه، ويمكن لمن ينعم النظر فيه أن يعتبر العلاقة فيه السببية؛ لأن الفتم سبب في الصوف، أو المجاورة؛ لأنه مجاور لها، لصيق بها، ويقوى هذا الاتجاه، الأخير، وبعده أن الزمخشري قد جعل تسمية الصوف ثلة مساوية لتسمية المطرسما، حين قال : "الثلة جماعة الفتم، والثلة جماعة الناس قال :

أَبْيَتْ بِاللَّهِ رَبِّيْنَ لَا أَسْأَلُهُمْ حَسْنَ يَسَالِمَ رَبَّ الْفَلَةِ الْذِيْبَ
وَيَنْتَوْ فَلَانَ مَثْلُونَ أَصْحَابُ غَنْمٍ، وَكَسَاءُ جَيْدَ الْفَلَةِ أَىَ الصَّوْفَ،
سَمِّيَ بِاسْمِ مَا هُوَ مِنْهُ كَتْسَمِيَةُ الْمَطَرِ بِالسَّمَاءِ^(٢)
وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ إِطْلَاقُ الْفَلَةِ عَلَى الصَّوْفِ مَجَازًا مَرْسَلاً
عَلَاقَتِهِ الْمَجَاوِرَةُ.

ثالثها ، أن ينظر اللفظ الذي جاء فيه المجاز بلفظ آخر اشتهرت مجازيته على سبيل علاقة المجاورة، فقد ذكر أن كلمة (السفرة) في الأصل اسم للطعام الذي يتخذه المسافر، وقد نقل اسمها

(١) لسان العرب ١٧١ هـ (ثلاث)

(٢) أساس البلاغة (ثلاث)

إلى الجلد الذي يحمل فيه هذا الطعام كما سميت المزادة راوية يقول في هذا الشأن : "والسفرة (بالضم) طعام يتخذ للمسافر، ويه سميت سفرة الجلد.

وفي حديث زيد بن حارثة قال ذبحنا شاة فجعلناها سفترنا، أو في سفترنا^(١) السفرة طعام يتذله المسافر، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إليه، وسمى به كما سميت المزادة راوية، وغير ذلك من الأسماء المنقولة، وفي حديث عائشة صنعتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأبيه يكر سفرة في جراب^(٢) أى طعاما لما هاجر هو وأبو بكر - رضي الله عنه-^(٣).

فكلمة السفرة نقلت من معناها الأصلي، وهو الطعام الذي يتذله المسافر إلى الجلد الذي يحمل فيه ذلك الطعام؛ العلاقة المجاورة، كما سميت المزادة راوية.

فنجد قد نظر إطلاق السفرة على الجلد بإطلاق الراوية على المزادة "والراوية البمير الذي يسكن عليه الماء، فسمى الوعاء الذي يحمله باسمه"^(٤) ولعل كلمة السفرة بمعنى الخسوان، أو المائدة التي يستعملها الناس في كلامهم مأخذة من هذا، فهم يقولون أكلنا على

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) لسان العرب ٢٠٢٤/٣ - ٢٠٢٥ (سفر).

والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٤) الموازنة ، للأمدي ٢٤/٢٣.

السفرة أى الحوان؛ لأن الطعام يوضع فوقه، وإن كان صاحب اللسان قد نقل عن بعضهم أن "السفرة التي يُؤكل عليها سميت سفرة؛ لأنها تُبسط إذا أكل عليها"^(١).

ومن هذا النوع الذي نظرَ ما فيه مجاز مرسل بطلاق الراوية على المزادة ما ذكره في أحد المواقع، وبين فيه أن (الحقو) يطلق على الإزار؛ لأنه يشد على الحقو، وهو الخصر^(٢) فقد قال: "والحقو، والحقو، والحقو، والحقو، والحقو، كله الإزار، سمي بما يلاته عليه... وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أعطى النساء اللاتي غسلن ابنته حين ماتت حقوه، وقال أشعرنها إياه^(٣) قال ابن بري الأصل في الحقو معقد الإزار، ثم سمي الإزار حقو، لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزادة راوية؛ لأنها على الراوية، وهو الجمل، وفي حديث عمر رضي الله عنه لا تزهدن في جفاه الحقو أى لا تزهدن في تغليظ الإزار وثخانته؛ ليكون أستر لكن"^(٤).

وقد سمي الإزار حقو، باسم الموضع الذي يشد عليه من جسم الإنسان، لجاورته له، على سبيل المجاز المرسل كما تسمى المزادة راوية.

(١) لسان العرب ٢٠٢٥/٣ (سفر).

(٢) المصدر نفسه ٩٤٨/٢ (حقو).

(٣) وينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٦٠٠/٢.
فتح الباري ١٥٠/٣ وما بعدها.

(٤) لسان العرب ٩٤٨/٢ (حقو).

وما هو بسبيل من ذلك أيضا ما ذكره صاحب اللسان من أن الإزار يسمى حجزة باسم الموضع الذي يشد عليه للمجاورة أيضا، فقد أورد في أحد الموضع أن "أصل الحجزة موضع شد الإزار قال - أي ابن الأثير - ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة" ^(١).

ويقال تحاجز القوم أخذ بعضهم بجز بعض ^(٢) وقد عدد الزمخشري من المجاز قولهم وهذا كلام آخذ بعضا بجزة بعض أي متناظم منسق ^(٣) وواضح أن إطلاق الحجزة على الإزار نفسه مجاز مرسل علاقته المجاورة، ويريد ذلك ما نقله صاحب لسان العرب من أن عائشة رضي الله عنها قال : "لما نزلت سورة التور عمدن إلى حجز مناطقهن فشققناها فاتخذناها خمرا" ^(٤) ثم قال صاحب اللسان "أرادت بالجز المآزر".

فنجدها - رضي الله عنها قد سمت المآزر حجزا باسم الموضع التي عقدت عليها، لمجاوريتها لها، وغنى عن البيان أن الجزر أي خواص الناس لا تشتق، ولا تتخذ خمرا تضرب على جيوب النساء.

وقد نظر صاحب لسان العرب بالزيادة والرواية أيضا أطلق العصب، وهو طرق الفحل وضرابه على كراه ذلك الصراب فقال : "وفي حديث أبي معاذ كنت رجلاً تيأساً فقال لي البراء بن عازب لا يحل

(١) المصدر نفسه ٧٨٦/٢ (جز).

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) أساس البلاغة (جز).

(٤) لسان العرب ٧٨٦/٢ (جز).

لك عسْب الفحل، وقال أبو عبيد معنى العسْب في الحديث الكراه والأصل فيه الضراب، والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه أو من سببه كما قالوا للمزادة راوية، وإنما الرواية البعير الذي يستقى عليه^(١).

فالعسْب في الأصل هو الضراب، ثم أطلق على أجرته وكرائه لأن أخذ الكراه مصاحب للضراب، قريب منه، مقترب به.

وقوله (والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه...) صريح في علاقة المجاورة، فالمعنية المذكورة تتبيّن بالاقتران، والمصاحبة.

ولذلك كان إطلاق العسْب على كرائه مساوياً ومناظراً لإطلاق الرواية على المزادة.

وقد بدا لي من النظرة في هذا المثال أن المجاورة ليست مقصورة على المجاورة المكانية، بل يمكن أن تكون زمانية أيضاً، فالكراه ليس مجاوراً للضراب حيالها كان، وأنى وجد، بل يمكن أن يحصل في مكان، وتؤخذ أجرته في مكان آخر في زمن متقارب، اللهم إلا أن تكون عادة العرب قد جرت على أخذ الكراه في موضوع الضراب دون تأخير أو إبطاء.

(١) لسان العرب ٢٩٣٦/٤ (عسْب).

ونظر فتح الباري ٥٣٩/٤

وابعها : أن يذكر أن الشئ قد يسمى باسم الشئ لقربه منه، ويعنى بهذا القرب المجاورة كما تشير إلى ذلك الأمثلة التي ذكرها، فقد جعل إطلاق اسم الظعينة على الجمل الذي يطعن عليه، وعلى الهودج على سبيل الحقيقة، ثم جعل من المجاز إطلاق الظعينة على المرأة في الهودج لمحاجرتها له عندما قال : "والظعينة الجمل يطعن عليه، والظعينة الهودج تكون فيه المرأة، وقيل هو الهودج كانت فيه المرأة، أو لم تكن، والظعينة المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشئ باسم الشئ لقربه منه...^(١)" فيكون إطلاق الظعينة على المرأة مجازاً مرسلاً لمحاجتها المجاورة؛ لأنها تكون في الظعينة أي الهودج، أو لأنها تركب الجمل الذي هو ظعينة^(٢).

ويبدو أن وجهة اللغويين لم تتفق حول هذا المجاز، فقد أورد صاحب لسان العرب ما يفيد عكس ما ذكره آنفاً، فنقل عن ابن الإبراري أن "الأصل في الظعينة المرأة تكون في هودجها، ثم كسر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة... وفى حديث حنين فإذا بهوازن على بكرة آبائهم بطنعنهما، وشاتهم، ونعمهم الطعن النساء واحدتها ظعينة...^(٣)".

ويكاد إجماع اللغويين الذى أورد صاحب اللسان كلامهم فى هذا الموضوع - ينعقد على أن إطلاق الظعينة على المرأة مجاز؛ لأنها تركب الجمل، أو تكون فى الهودج وعلى ذلك يكون قول الشيخ

(١) لسان العرب ٤/ ٢٧٤٨ (طعن).

(٢) ينظر المصدر نفسه والموضع.

(٣) المصدر نفسه والموضع.

عبد القاهر الجرجاني: "وأن الظعينة أصلها المرأة في الهوج، ثم صار البعير والهوس [ظعينة]^(١) مستندا إلى قول فردى هو قول ابن الإنبارى الذى أورده صاحب لسان العرب.

- بين المزادة والراوية -

رأينا فيما سلف من حديث علاقة المجاورة ترداد كلمتى الراوية والمزادة فى كلام أهل العلم، وقياس بعض أمثلة هذه العلاقة عليهما، واعتبارهما أصلا يقاس عليه فى هذا الصدد، وقد وجدت أن من النافع المقيد أن ألقى عليهما بعض الضوء، ليكون معناهما بینا واضحًا، لا ليس فيه، ولا غموض، ولبيان أمر المجاز فيهما، أما المزادة، فقد ذكر صاحب لسان العرب فى أحد المواقع أنها الراوية، ونقل عن بعض اللغوين أنها "لا تكون إلا من جلدين تمام بجلد ثالث لتنتسع ... والمجمع المزاد والمزيد"^(٢).

فالمزادة هي الوعاء أو الظرف الذى يحمل فيه الماء^(٣) كالقرية وغيرها، ولم أجد أحدا من العلماء قد خالف فى ذلك - على قدر علمي - إلا سعد الدين التفتازانى، فقد فسر المزادة بالمزود الذى

(١) أسرار البلاغة ٢٢١ / .

(٢) لسان العرب ١٨٩٧/٣ (زيد)

(٣) ينظر - مثلا - النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤ / . ٣٢٤

يجعل فيه الزاد أى طعام السفر^(١) وهذا تفسير غير صحيح^(٢) أما الرواية، فقد رأينا فيما سبق أن صاحب لسان العرب قد ذكر في عدة مواضع أنها البعير الذي يستقى عليه^(٣) وسميت المزادة راوية لجاورتها للبعير الذي يحملها، وعلى ذلك فالرواية أصل في البعير مجاز في المزادة.

ومع أن صاحب اللسان كرر هذا المعنى عدة مرات إلا أنه نقل في بعض الموضع عن ابن سيده أن الرواية أصل في المزادة مجاز في البعير فقال : "...ابن سيدة والرواية المزادة فيها الماء، وسمى البعير راوية على تسمية الشئ باسم غيره لقربه منه ..."^(٤).

وقد سار الإمام العلوي على القول بأن الرواية أصل في المزادة مجاز في البعير، فجعل المجاورة كنقل اسم الرواية من ظرف الماء إلى ما يحمل عليه من الجبل وغيره^(٥).

ويبدو أن هذا قول مغمور عند العلماء، ولذلك أشار إليه ابن الأثير بصيغة التضعيف (قييل) فقد ذكر أن "الروايا من الإبل الحوامل للماء واحدتها راوية... ومنه سميت المزادة راوية، وقيل بالعكس"^(٦).

(١) المطرول/٣٥٥، والمختصر ٣٤/٤ شروح التلخيص.

(٢) حاشية السيد الشريف على المطرول/٣٥٥ على هامش المطرول.

(٣) لسان العرب ٢٠٢٥/٣ (سفر).

(٤) المصدر نفسه ١٧٨٤/٣ (روى).

(٥) الطراز ١/٧٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٧٩/٢.

وقد أورد صاحب لسان العرب شواهد على استعمال العرب
الراوية في البغاء والمزادة، فمن استعمالها يعني البغاء قول أبي
النجم :

تشس من السدة مشي الحفل مشي الروايا بالمزاد الأثقل
ومن استعمالها يعني المزادة قوله عمرو بن ملقط :

ذاك سنان محلب نصره كالمحلل الأرطاف بالراوية
والذى أمسيل إليه، وهو ما عليه الكثير من العلماء أن الراوية
أصل في البغاء مجاز في المزادة، والذى يرجع ذلك أن العرب
استعارت الراوية لمن يحمل الأنقال من الرجال مثل قوله الشاعر :

ولنا روايا يحملون لنا أنتقالنا إذ يكره المحمول
يعنى به الرجال الذين يحملون لهم الديات شبه السيد الذى
تحمل الديات عن المجرى بالبغاء الراوية^(١).

فاستعارة الراوية يعني البغاء للرجل الذى تحمل الديات يدل
على أن كلمة الراوية متصلة في تلك الدلالة، مستقرة في عرفهم
اللغوي، حتى ساعدهم استعاراتها لمن يحمل الأنقال من الناس،
ومعلوم أن الإبل كانت تحمل الأنقال التي لا يستطيع حيوان آخر
حملها، ومنها المزائد التي تقتلى بما، خصوصاً عند اجتماع الجم

(١) ينظر لسان العرب ١٧٨٤/٣ - ١٧٨٥ (روى)

الفقير من الناس كما في أيام الحج، ولذلك كان الجمل جديراً بأن يسمى راوية.

وقد سار الشيخ عبد القاهر الجرجاني على هذا القول الشهير، فذكر أنهم سمو المزادرة راوية، وهي اسم البعير الذي يحملها في الأصل^(١) وإذا كان العرب قد سمو المزادرة راوية باسم البعير حاملها، لجاورتها له، فإنهم قد فعلوا عكس ذلك عندما سموا البعير الحامل لثياب البيت الرديء حفظاً باسم ذلك الثياب الذي يحمله، وقد أومأ إلى ذلك صاحب لسان العرب دون أن يذكر لفظ المجاز، أو المعاورة، أو شيئاً من هذا القبيل، فتندقالي بعض الموضع : "... والمحفظ البيت، وقيل مثياب البيت إذا هيئ للحمل قال ابن الأعرابي المحفظ قماش البيت، وردى المثياب، ورذاله والذي يحمل ذلك عليه من الإبل حفظ، ولا يكاد يكون ذلك إلا رذال الإبل، ومنه سمي البعير الذي يحمله حفظاً به، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ونحن إذا عمد الحس خرت على الأحفاض فمنع ما يلينا

قال الأزهري وهي ههنا الإبل، وإنما هي ماعلية مامن الأحوال..^(٢) فسمي البعير حفظاً، والإبل أحفاضاً باسم المثياب المعهول، تسمية للشيء باسم ما يجاوره على سبيل المجاز المرسل، وتقول الأزهري : (إنما هي ما عليها من الأحوال) يعني أن الأحفاض هي الأحوال التي تحملها الإبل باعتبار الأصل، ثم نقلت إلى الإبل

(١) أسرار البلاغة / ٣١٧-٣١٨.

(٢) لسان العرب ٩٢٨/٢ (حفظ).

نفسها مجازاً، وهذا موافق لما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أنهم سموا "البئير حفضاً وهو اسم لمنع البيت الذي يحمل عليه" ^(١). وقد ذكر صاحب اللسان عقب كلامه المتقدم أن البيت له روايتان (على الأحفاض) و(عن الأحفاض) فمن قال (عن الأحفاض) عن الإبل التي تحمل الماء، ومن قال (على الأحفاض) عن الأمتعة ^(٢).

وإذا نظرنا إلى هاتين الروايتين نجد أن الذي يتلام مع السياق، والحديث عن المجاورة رواية (عن الأحفاض). وكان ينبغي أن يورد صاحب لسان العرب البيت بهذه الرواية حتى يكون كلامه متناسباً ومتسقاً مع سياقه؛ لأن ساق البيت شاهداً على أن البئير سمي حفضاً باسم ما يحمله من الأمتعة. وقد رجعت إلى معلقة عمرو بن كلثوم فوجدت البيت مذكورة فيها برواية (عن الأحفاض) ^(٣).

وقال شارح المعلقة: "من روى البيت (على الأحفاض) أراد بها الأمتعة، ومن روى (عن الأحفاض) أراد بها الإبل". ^(٤) وهو في ذلك متفق مع ما ذكره صاحب اللسان، وقد زاد هذا الشارح معنى البيت توضيحاً فقال:

(١) أسرار البلاغة ٣١٨/.

(٢) لسان العرب ٩٢٨/٢ (بتصرف).

(٣) شرح المعلقات السبع، للزوجني ١٤٩/.

(٤) المرجع نفسه والموضع.

"يقول - أى الشاعر - ونحن إذا قوشت الخيم فخرت على
أمتعتها نمنع، ونحمس من يقرب منها من جيراننا، أو نحن إذا سقطت
الخيم عن الإبل للإسراع فى الهرب نمنع، ونحمس جيراننا إذا هرب
غيرنا حمينا غيرنا".^(١)

(١) شرح العلاقات السبع، لزونس ١٦٩٧.

اعتبار ما كان

وهو تسمية الشيء باسمه الذي كان عليه في الزمان الماضي^(١)
كما في قوله تعالى : "إنه من يأت ربه مجرما" ^(٢) ساء الله مجرما
يوم القيمة باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام ^(٣)

وقد تأملنا تناول لسان العرب لهذه العلاقة في صورتين :

إدحاماً : أن يصرح بأن ما جاء من سببها مجاز، فقد جاء
فيه وهو يعالج قوله تعالى "وأتوا اليتامي أموالهم" ^(٤) "... أي
أعطوه أموالهم إذا آتستم منهم رشداً، وسموا يتامى بعد أن أونس
منهم الرشد بالاسم الأول الذي كان لهم قبل إيناسه..." ^(٥)

وقيل أن أمضى مع كلامه حول المجاز في هذه الآية أود أن أتبه
إلى أنه قد يتبرأ إلى الذهن من قول لسان العرب (وسموا يتامى
بعد أن أونس منهم الرشد بالاسم الأول) - أن إيناس الرشد يعتمد به
في دفع أموال اليتامى إليهم، ولو كان ذلك قبل البلوغ، والواقع أن
هذا الإنسان لا يعتمد به إلا إذا كان بعد البلوغ كما هو ظاهر من قوله
تعالى : "وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آتستم منهم
رشداً فادفعوا إليهم أموالهم" ^(٦).

(١) ينظر مختصر السعد ٤٠٤ شروح التلخيص.

(٢) طه ٧٤.

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ، للزرتشي ٢٨٠/٢.

(٤) النساء ٢.

(٥) لسان العرب ٦/٤٩٤٩ (يتام).

(٦) النساء ٦.

ولعله من أجل ذلك قرر الإمام القرطبي "أن دفع المال - إلى اليتامى - يكون بشرطين إنسان الرشد والبلوغ، فيان وجده أحدهما دون الآخر، لم يجز تسليم المال كذلك نص الآية" (١).

ويتابع لسان العرب حديثه حول (اليتامى) في الآية المعهودة قائلاً : "... واليتم في الناس فقد الصبي أبوه قبل البلوغ، وفي الدواب فقد الأم، وأصل اليتم الانفراد ... والأنثى يتيمة، وإذا بلغا زال عنهم اسم اليتم حقيقة، وقد يطلق عليهما مجازاً بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم وهو كبير يتيم أبي طالب؛ لأنه ربه بعد موت أبيه..." (٢).

فإطلاق اليتم على الكبير البالغ مجاز؛ لأن حقيقته أن يطلق على من دون البلوغ، وقد جاء في لسان العرب عقب الكلام السابق أن اسم اليتم يطلق على المرأة البالغة مجازاً فقال : "وفي الحديث تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها" (٣) أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليتم فدعى بـه، وهي باللغة مجازاً" (٤).

فتصریح صاحب لسان العرب، وهو إمام من أئمة اللغة وبنقل عن أئتها بأن إطلاق اليتامى على البالغين، واليتيمة على البالغة

(١) تفسير القرطبي ١٦٠٨ ط الشعب.

(٢) لسان العرب ٦/٩٦٩ (يتم).

(٣) الحديث في كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٩٢/٥.

(٤) لسان العرب ٦/٩٦٩ (يتم).

مجاز يدحض القول الذي حكاه صاحب الرسالة البیانیة ومحشیه
ومؤداته أن إطلاق البیامی على البالغین حقیقة لأنه "وارد على أصل
اللغة فیان البیامی مشتق من البیم وهو الانفراد، فالاشتقاق يقتضی
جواز إطلاقه على كل من مات أبوه صغیراً كان أو کبیراً؛ لتحقیق
الانفراد عن الأب فیهما".^(١)

وقد أشار إلى هذا القول بعض البلاعین، واعتبره مخالفًا لما
علیه الجمهور^(٢) وأومنا إليه الإمام الزركشی في برهانه أيضًا^(٣).

ثانيتهما : أنه كان أحیاناً يذكر أن تسمیة الشن باسمه الذي
كان عليه في الماضي اتساع، فقد قال : "... التیثت بالكسر كل جلد
مدبوغ... وفي الحديث أن النبي صلی الله علیه وسلم رأى رجلاً يمشي
بين القبور في نعليه فقال : يا صاحب السبعين أخلع سبتيك"^(٤) ...
قال الأزھری كأنها سمیت سبتبة؛ لأن شعرها قد سبت عنها أى حلق
وأزيل بعلاج من الدباغ معلوم عند دباغيها... وفي تسمیة النعل

(١) حاشیة الإتبابی على الرسالة البیانیة ٢٢٧ وینظر الرسالة البیانیة
في الصفحة نفسها.

(٢) ينظر مراہب الفتاح في شرح تلخیص المفتاح، لابن یعقوب المغریب
٦٠٠ وحاشیة الدسوقی ٦٠٠ شروح التلخیص.

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ٢٨٠ / ٢.

(٤) الحديث في كتاب غریب الحديث والأثر، لابن الأثیر ٣٣٠ / ٢.

التخذلة من السبت سبباً اتساع مثل قولهم فلان يلبس الصوف والقطن والإبرسم أي الشياب المتخذة منها^(١). فقد استعمل كلمة اتساع مكان الكلمة مجاز، وقد أشرت إلى ذلك في موضع سابق، وسيأتي لهذا الأمر زيادة بيان - إن شاء الله - في أثناء الكلام عن علاقة اعتبار ما ينول إليه.

ونجد وراء أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بخلع سبتيه إجلالاً لحرمة المقابر، وتقديراً لمنزلة الموتى، لأنهم يتأنون كما يتأنم الحى فلا ينبغي إيداؤهم بقريع النعال حول قبورهم، أو لأنها كانت وسخة، ولذلك قال ابن الأثير في كلامه الذى أخذ عنه صاحب لسان العرب : " وإنما أمره بالخلع احتراماً للمقابر، لأنه كان يمشي بينها، وقيل لأنها كان بها قذر، أو لا اختيار له فى مشيه"^(٢).

وإذا ما عدنا إلى المجاز، أو الاتساع كما جاء في لسان العرب في هذا الموضع، فإننا نجد أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع النعلين سبتيين باعتبار ما كانتا عليه في الماضي، وجعل ذلك نظيراً لقولهم فلان يلبس الصوف أي الشياب التي اتخذت من الصوف؛ فإنها سميت صوفاً باعتبار ما كانت عليه في الماضي، وقولهم فلان يلبس القطن أي الشياب المتخذة من القطن وسميت قطناً باعتبار ما كانت عليه في الماضي، وقولهم فلان يلبس الإبرسم أي الشياب المتخذة منه سميت باعتبار ما كانت عليه في الماضي. وأمثال

(١) لسان العرب ١٩١١/٣ (سبت).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير / ٢٣٠ / ٢.

هذه الاستعماالت التي أوردها لسان العرب لا تزال تتردد على
السنة الناس في حياتهم اليومية فنراهم يقولون "أكلنا قمحا، وشرينا
بنا، ونحو ذلك إذا يكون التعبير فيه باعتبار ما كان"^(١)

وعلمون أنهم لا يقتاتون حبات القمح كما هي، ولا يشربون
مسحوق البن، ولا يلبسون القطن كما أخذ من أشجاره دون غزل أو
تسيج، فقد سموا المخبز قمحا باعتبار ما كان، وأطلقوا على شراب
القهوة بنا أيضا باعتبار ما كان.

(١) النهاج الراضي، للأستاذ حامد عوني ١١١.

اعتبار ما ينول إليه

وهو تسمية الشيء باسم ما ينول إليه في المستقبل نحو قوله تعالى : (... إنى أراني أعصر خمرا)^(١) أي أعصر عندي ما ينول إلى أن يصير خمرا بعد العصر^(٢) وقد جاء تناول هذه العلاقة في لسان العرب على وجهين :

أحدهما : أن يصرح بأن تسمية الشيء باعتبار ما ينول إليه مجاز ، فقد أورد كلاماً مزدداً أن العنب أو العصير يسمى خمراً لأنه سيكون خمراً في المستقبل ، فـ قال الحسول إطلاق الخمر على العصير : " والخمر ما خمر العقل ، وهو المسكر من الشراب ... وفي حديث سمرة أنه باع خمراً فقال عمر قاتل الله سمرة^(٣) قال الخطابي إنما باع عصيراً من يتخلله خمراً فسماه باسم ما ينول إليه مجازاً كما قال عز وجل (إنى أراني أعصر خمرا) ^(٤).

(١) يوسف / ٣٦.

(٢) ينظر المختصر للسعد ٤/٤٠، ٤١، ٤٠١ ومواتب الفتاح .. لابن بعثوب المغرس شروح التلخيص ٦/٦٠.

(٣) ينظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٩٢ ط الشعب ومسند الإمام أحمد ١/٩٦ مكتبة التراث الإسلامي شرح أحمد محمد شاكر.

(٤) يوسف / ٣٦.

فلهذا نعم عمر رضي الله عنه عليه؛ لأنّه مكروه، وأما أن يكون سمرة باع خمراً، فلا لأنّه لا يجهل تحريمه مع اشتهراته^(١). فالذى باعه (سمرة) عصير، وقد سمي خمراً باعتبار أنه يتول في المستقبل إلى خمر، وهذا مجاز، لأنّه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، وغنى عن البيان أنه مجاز مرسل؛ لأنّ علاقته غير المشابهة، ولو كان (سمرة) قد باع خمراً بعينها، لعاقبته عمر - رضي الله عنه - لأنّ الذي حرم شربها حرم بيعها، روى أنّ رجلاً أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت أنّ الله قد حرمها؟ قال لا فسأله إنساناً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم سارته؟ فقال أمرته بيعها فقال إنّ الذي حرم شربها حرم بيعها قال ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها^(٢).

وواضح أنّ تنظير العصير الذي سيكون في المستقبل خمراً بما في آية (يوسف) - كما جاء في كلام الخطابي السالف الذكر - ليس في كلّ شيء؛ لأنّ خمراً في الآية يراد به العنب "بدليل ذكر العصر؛ لأنّ الخمر عصير، والعصير لا يعصر"^(٣) أما العصير، فقد تجاوز مرحلة كونه عنبًا، فهو سائل مهيباً لأنّ يكون خمراً إذا عتق، وخررت عليه دنانير.

(١) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمر).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٨٨-٨٩.

(٣) المنهج الواضح، للأستاذ حامد عوني / ١١٢.

وقد أورد ابن منظور في لسان العرب ما يفيد أن الخمر معناها العنب وعلى ذلك تكون الكلمة (خمرا) في الآية حقيقة، وليس مجازا، فقد قال : "... والعرب تسمى العنب خمرا قال - أى ابن سيده - وأظن ذلك لكونها منه حكاهما أبو حنيفة قال وهي لغة بيانية وقال - أى أبو حنيفة - في قوله تعالى (إني أراني أعصر خمرا) (١) إن الخمر هنا العنب. قال - أى ابن سيده - وأراه سماها باسم ما في الإمكان أن تتحول إليه، فكانه قال إني أراني أعصر عنها قال الراعي: ينزعنى بها ندمان صدق شواه الطير والعنب الحقين
يريد الخمر" (٢).

ويبدو أن اعتبار (خمرا) في الآية حقيقة - كما قال بعضهم - رأى مفسور، لا يبالي به، ولا يلتفت إليه، ولذلك ذكره صاحب الرسالة البيانية بصيغة (قيل) التي تنبئ عن الضعف والتمريض (٣) ولعله من أجل ذلك لم يذكره شراح التلخيص (٤) أو يحوموا حوله. ويبدو لي أن تنظير ابن سيده (خمرا) في الآية بالعنب في قول الراعي المتقدم - ليس سديدا؛ لأن العنباً أطلق على الخمر

(١) يوسف / ٣٦.

(٢) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمر).

(٣) ينظر الرسالة البيانية، للصبان / ٢٢٨.

(٤) ينظر شروح التلخيص ٤ / ٤٠، ٤١.

وهي موضوعة على مائدة الطعام، وقد يؤيد هذا الفهم قول صاحب لسان العرب في موضع آخر:
”قال الرائي في العنبر التي هي الخمر :

ونازعنى بها إخوان صدق شراء الطيسر والعنبر المقيينا“^(١)

وإذا كان العنبر في بيت الرايع يراد به الخمر - كما ذكر ابن منظور - فإنه مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان أى الخمر التي كانت عنبا في الماضي، أما في الآية فإن كلمة (خمرا) أطلقت على العنبر الذي يتناوله العصر، ليكون خمرا في المستقبل، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما ينول إليه.

وما يجدر ذكره هنا أنني لحظت أن صاحب لسان العرب ذكر[بيت الرايع بروايتين جاء في إحداهما (ينازعنى) وفي الثانية (نازعنى) وفي إحداهما (ندمان) وفي الثانية (إخوان).

وقد رجعت إلى ديوان الشاعر^(٢) فوجدت البيت قد جاء فيه برواية قد لفقت بين الروايتين ذكرتا في لسان العرب وهي :

ونازعنى بها ندمان صدق شراء الطيسر والعنبر المقيينا
والهم أن العنبر في البيت مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان،
وليس مناظرا للمجاز في آية (يוסף) كما بيّنت.

(١) لسان العرب ٣١٩/٤ (عنبر).

(٢) ديوان الرايع التسيري ٢٨٨، جمعه وحققه راينهارت ثايبيرت بيروت ١٩٨٠م.

ومن هذا النوع الذى صرخ فيه بأن تسمية الشئ باعتبار ما يشول إليه مجاز ما ذكره في مادة (ثيب) من أن الشيب تطلق على البكر مجازاً؛ لأنها ستكون كذلك فيما يستقبل من عمرها فقد قال : "الشيب من النساء التي تزوجت وفارقـت زوجها بأى وجه كان بعد أن كان قد مسها... وقد يطلق الشيب على المرأة البالغة وإن كانت بكرـاً مجازاً، واتساعاً" (١)

في إطلاق الشيب على المرأة البالغة قبل أن تتزوج مجاز، وربما كان هذا الإطلاق تفايلاً بأنها ستتزوج وتصير شيئاً في المستقبل. ونلحظ هنا أنه سمي هذا الإطلاق (مجازاً واتساعاً) وسمي إطلاق الخمر على العصير والعنب - كما سبق - مجاز لا غير، وفي هذا ما يدل على أن الاتساع يستعمل استعمال المجاز، ويؤدي مؤداه فعنه عليه يكن عطف تفسير، وقد ذكرت ذلك من قبل.

ثانيهما، أنه قاس بعض أمثلة هذه العلاقة على بعض وصرح بأنها على وجه تصور الحال المتوقعة، فقد ذكر في مادة (عفر) عدة أمثلة لهذه العلاقة أتبع بعضها بعضاً، فبعد أن ذكر أن "القفر والعفر ظاهر التراب والمجمع أغار..." (٢) أورد قول أبي ذئب:

(١) لسان العرب ٥٢٥/١ (ثيب)

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

أَلْفِيْتُ أَغْلِبَ مِنْ أَسْدَ الْمُسْكَدَ حَدِيْـ
دَ النَّابَ أَخْذَتَهُ عَفْرَـ فَعَطَرَيْـ^(١)

ونقل عن بعضهم أن كلمة (عفر) في البيت معناها جذب، فيكون قد سمي الجذب عفرا؛ لأنه يتول إليه بعد أن يطرح على الأرض فقال : .. و قال أبو نصر عفر جذب قال ابن جنی قول أبي نصر هو المعمول به، وذلك أن الفاء مرتبة، وإنما يكون التعفير في التراب بعد الطرح لا قبله، فالعفر إذا هبنا هو الجذب، فإن قلت فكيف جاز أن يسمى الجذب عفرا؟ قيل جاز ذلك لتصور معنى التعفير بعد الجذب وأنه إذا ما يصير إلى العفر الذي هو التراب بعد أن يجذبه ويساوره ..^(٢)

وقد أورد بعد المثال السابق مثلا آخر سميت فيه جلد الحيوانات وهي لا تزال حية أفيقا باعتبار ما يتول إليه، لأن الأفيق هو الجلد في الدباغ فقال عقب كلامه الذي تقدم ذكره:

.. أَلَا تَرَى مَا أَنْشَدَهُ الْأَضْعَـسِ وَهُنَّ مَا غَضَنَ الْأَثْيَـقِ^(٣)

(١) المسد موضع يمکة عند بستان ابن عامر(في الماضي) وذلك البستان مأسدة، وقيل هو موضع يقرب مكة شرفها الله تعالى.

لسان العرب ١٩٧١/٣ (سد).

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٣) الغضن والغضن الكسر في الجلد والشرب والدرع وغيرها وجمعه غضون.

فسمى جلودها وهي حبة أفيقا، وإنما الأفيق الجلد ما دام في الدباغ، وهو قبيل ذلك جلد راهب ونحو ذلك، ولكنه لما كان قد يصير إلى الدباغ سماء أفيقا، وأطلق ذلك عليه قبيل وصوله إليه على وجه تصور الحال المتوقعة...^(١).

ثم ساق صاحب لسان العرب عدة أمثلة من قبيل المجاز المرسل علاقته اعتبار ما يكون أو ما يشول إليه دون أن يصرح باسم هذه العلاقة فقال: "... ونحو منه قوله تعالى: "إني أراني أغصر خمرا"^(٢) وقول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم نسرك أن يعيش فجئ بزاد
سماء ميتا وهو حي؛ لأنك سيموت لا محالة وعليه قوله تعالى
(إنك ميت وإنهم ميتون)^(٣) أي إنكم ستموتون قال الفرزدق :
قتلت قتيلا لم يسر الناس مثله أقلبه ذا توبيخين مسراً.^(٤)
والمجاز كما هو واضح في البيت الأخير في (قتيلا) لأنك لم
يقتل مقتولا، وإنما قتل حيا يصير بعد قتله قتيلا^(٥).

(١) المصدر نفسه ٣٠٨/٤ (عفر).

(٢) يوسف ٣٦/.

(٣) الزمر / ٣٠.

(٤) لسان العرب ٣٠٨/٤ (عفر).

(٥) ينظر المختصون، لابن جنن ١٧٧/٣.

ونلحظ في الكلمات التي أوردها لسان العرب أنه أومأ إلى شيء مهم وهو أن الأيلولة في هذه العلاقة ليست حتمية دائمًا، بل قد تكون حتمية ^{كذا} في إطلاق الميت على الحى؛ لأنه صائر إلى الموت لا محالة، وقد تكون ظنية محتملة كما في إطلاق الأفيف على الجلد يشعر بذلك قوله (ولكنه لما كان قد يصير إلى الدباغ سماه أفيقا) فمفهوم تلك العبارة أنه قد لا يصير إلى الدباغ، ويعزز هذا المعنى وبعضه قوله بعد ذلك في هذا الصدد أيضًا (وأطلق ذلك عليه قبل وصوله إليه على وجه تصور الحال المتوقعة) فالأيلولة متوقعة وليس متينة، ولذلك فرق في نهاية هذه الأمثلة بين إطلاق العَفْر على الجذب وإطلاق ميت على الحى فقال :

"إِذَا جَازَ أَنْ يُسْمَى الْجَذْبُ عَفْرًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَصِيرُ إِلَى الْعَفْرِ، وَقَدْ يُكَنُ أَلَا يَصِيرُ الْجَذْبُ إِلَى الْعَفْرِ كَانَ تَسْمِيَةُ الْحَى مِيتًا لِأَنَّهُ مِيتٌ لَا مَحَالَةَ أَجْدَرُ بِالْجُوازِ" (١).

ولم أجده هذا المعنى الذي ألمع إليه صاحب لسان العرب حول حتمية الأيلولة في هذه العلاقة، أو عدم حتميتها فيما قرأت من الكتب البلاغية إلا في الرسالة البيانية للصلبان - رحمة الله - فقد قال : "الثالثة عشرة اعتبار ما شأنه أن يشول إليه الشئ ظناً قوله تعالى (إِنِّي أَرَانِي أَعْصَرُ خَمْرًا) (٢) أَى عَنْبَا يَشُولُ عَصِيرَهُ إِلَى الْخَمْرِيَّةِ... أو قطعاً كقوله تعالى (إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ) (٣).

(١) لسان العرب ٤/٣٠٨ (عَفْر).

(٢) يوسف ٣٦.

(٣) الزمر ٣٠ والرسالة البيانية ٧/٢٢٨.

وقد جعل بعض أعلام اللغة العربية المجاز في بعض الأمثلة السالفة الذكر المسippية فقال : "... وعليه قول الله سبحانه (إني أراني أغص خمرا) وإنما يعصر عنبا يصير خمرا فاكتفى بالسبب الذي هو الخمر من السبب الذي هو العنب وقال الفرزدق :

قتلت قتيلا لم يسر الناس مثله أقلبه ذا ترميßen مسرا^(١)

وإنما قتل حبيا يصير بعد قتله قتيلا فاكتفى بالسبب من السبب^(٢) وقد سبق أن أشرت إلى أنه لا ضرر في أن ينظر في المجاز الواحد إلى أكثر من علاقة واحدة، ومدار الفرق على العلاقة المقصودة^(٣).

(١) الترمة اللولنة، والمسور لابن السوار.

(٢) الحصائص، لابن جنن / ١٧٧/٣.

(٣) ينظر حاشية الخضرى على شرح الموى على السمرقندية / ٤٦
والباحثة البیانیة في تفسیر النھر الرأزى / ١٨٢.

الكلية

هي "كون الشئ مستضمنا الشئ آخر ولغيره نحو قوله تعالى: (يجعلون أصحابهم في آذانهم)^(١) أى رعوس أناملهم "^(٢)
ولم أظفهري بأمثلة كثيرة في لسان العرب لهذه العلاقة - على
قدر جهدى - وجاء تناول لسان العرب لهذا النزد اليسير من أمثلة
تلك العلاقة على صورة واحدة ذكر فيها أنها تمثل في تسمية الجزء
باسم الكل فقد قال في أحد الموضع: "... وربما سوا البيت الواحد
شعرًا حكاه الأخفش قال ابن سيده وهذا ليس يقوى إلا أن يكون على
تسمية الجزء باسم الكل كقولك الماء للجزء من الماء ، والهوا للطائفة
من الهوا ، والأرض للقطعة من الأرض"^(٣)

فقول ابن سيدة الذي ارتضاه صاحب لسان العرب، وتقله عنه
(... تسمية الجزء باسم الكل) يشير إشارة واضحة جلية إلى علاقة
الكلية أعني إطلاق الكل وإرادة الجزء، فيقال كما ألمح قرأت شعرًا
أى بيتاً من الشعر، وشربت الماء أى بعضاً منه، لأن الإنسان لا
يشرب الماء كله، واستنشقت الهوا أى جزءاً منه، وسكنت الأرض أى
بقعة معينة منها.

(١) البقرة ١٩٧.

(٢) الرسالة البيانية، للصياغ ١٩٧-١٩٨.

(٣) لسان العرب ٣/٢٢٧٤ (شعر)

ومثل ذلك ما أشار إليه في أحد الموضع من أن الصلاة تطلق على القراءة؛ لأن القراءة بعض منها فقد قال : «في حديث قراءة الفاتحة قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين أراد بالصلاحة هنا القراءة تسمية للشئ ببعضه ..»^(١).

والمقصود من القراءة كما يدل صدر الحديث قراءة الفاتحة؛ لأن الحديث الشريف جاء ببيانها.

وقد يكون من إتمام الفائدة أن أورد هذا الحديث بعماه ثم أكمل الكلام عن المجاز فيه، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأله، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حسدنى عبدى، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدى، وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى، وقال مرة فوض إلى عبدى، فإذا قال إياك تعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأله، فإذا قال أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأله^(٢).

وقد ذكر الإمام النووي - رحمة الله - في شرح الحديث ما يؤكد أن المراد بالصلاحة في الحديث الناجحة فقال : «قال العلماء المراد

(١) الصدر نفسه ٣٦٣٠/٥ (قسم).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٧/١ ط الشعب.

بالصلوة هنا الناتحة^(١) وواضح أن إطلاق الصلاة التي تتضمن أقوالاً وأفعالاً كثيرة على (الناتحة) وحدها مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل على بعض منه.

وقد يدل إلى أن قول صاحب اللسان في كلامه المتقدم (أراد بالصلوة هنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) لا يتافق صدره مع عجزه، فبيان قوله (تسمية للشئ ببعضه) يدل على أن المقصود به في الكلام هو البعض، والواقع خلاف ذلك، لأن المذكور في الكلام هو الكل أعني الصلاة التي أريد بها الناتحة.

وقد وجدت أن صاحب لسان العرب قد نقل هذا القول عن ابن الأثير^(٢) دون أن ينعم النظر فيه، أو يفطن لما فيه من خلل، ولعله سهو منها معاً. والذي يعزز ما قلته، ويقويه أن صاحب اللسان ذكر في علاقة الجزئية، وهو بقصد الحديث عن إطلاق الرقبة على الإنسان كله أن الجملة سميت باسم العضو تسمية للشئ ببعضه^(٣).

ولاشك أن استعمال تعبير واحد في علاقتين متقابلتين يدل على أنه مجانب للصواب في إحداهما، وكان يمكن أن يقال - مثلاً - تسمية للجزء باسم الكل كما قال في الأمثلة التي سلف ذكرها في مطلع الحديث عن هذه العلاقة التي نحن بسبيلها حتى يكون الكلام متلائماً متناسقاً.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩/١ ط الشعب.

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٦١/٤.

(٣) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٢ (رقب).

الجزئية

الجزئية هي كون الشيء يتضمنه شيء آخر نحو قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه^(١) أي ذاته ..^(٢)
وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على عدة صور :

أحداها: أنه صرخ بأن إطلاق الجزء على الكل مجاز، فقد قال في أحد المواقع : "الظلف والظلف ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها ... وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازاً ومنه حديث رقيبة تتبع على قريش ستجدب أقعلت الظلف، أي ذات الظلف"^(٣).

فكلامه صحيح في أن الظلف، وهو من الشاة والبقرة والظبي ونحوها مثل الحافر من الفرس، والخف من البعير^(٤) يطلق على الحيوان كله مجازاً ولا يخفى أنه مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن الظلف جزء من هذه الحيوانات.

وقد ذكر صاحب لسان العرب هذا الكلام في موضوع آخر منسرياً إلى (عبد المطلب) دون أن يصرح فيه بكلمة المجاز، ولكنه

(١) القصص / ٨٨.

(٢) الرسالة البيانية للصبان / ١٩٩.

(٣) لسان العرب ٤/٤ - ٢٧٥٢ - ٢٧٥١ (ظلف).

(٤) المصدر نفسه ٤/٤ (ظلف).

ذكر ما يقيد أنه من قبيل ذلك المجاز، فقد قال : "القاحل اليابس من الجلود... وفي الحديث قحل الناس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى يمسوا من شدة التحط، وقد قحل يتحل قحلا إذا الترق جلد بعظمته من الهرزال والبلى... ومنه حديث استستقاء عبد المطلب تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف، أى أهزلت الماشية، وأصقت جلودها بعظمتها، وأراد ذات الظلف" (١) فقوله (... وأراد ذات الظلف) فيه إشارة واضحة إلى أن الإقحال ليس للظلف وحده بل إن الحيوان كله قد اعتراه الهرزال، وأصابه الجفاف والضمور، وهذا يعتبر مجازا مرسلأ علاقته المجزئية.

ولم أجد أحدا من البلاغيين الذين قرأت كتبهم قد مثل لعلاقة المجزئية بإطلاق الظلف على الحيوان.

والمتأمل في هذا المثال يجد أنه جزء من الحيوان غير ذي بال، ولا يستأهل أن يحفل به في بادئ الرأى، ويطلق على الحيوان كله، وقد يؤيد هذا أن سعد الدين التفتازاني قد اشترط في المجزء الذي يطلق على الكل أن يكون وثيق الصلة بالفرض الذي يتوجه المتكلم من الكل، فقد قال : "لا بد في المجزء المطلق على الكل من أن يكون له من يد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل مثلا لا يجوز إطلاق اليد، أو الإصبع على الريبة، وإن كان كل منهما جزءا منه" (٢).

(١) لسان العرب ٣٥٣٨/٥ (تحل)

وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٨/٤.

(٢) المطول ٣٥٦ وينظر شروح التلخیص ٣٥/٦.

و واضح أن الظلف من الحيوان أقل قيمة في جسم هذا الحيوان من اليد بالنسبة لجسم الإنسان؛ لأنه (ظفر كل ما اجتر) كما جاء، في اللسان، وقد نصت بعض الكتب البيانية على أن الظفر لا يصح أن يطلق على الإنسان لعلاقة الجزئية^(١).

فهل يكون قول صاحب لسان العرب (وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازا) - غير متلاطم مع ما ذكره بعض البيانيين؟.

الذى يبدوا لي أن كلام صاحب اللسان حق، وأن كلام بعض البيانيين إن صح في إطلاق الظفر على الإنسان، فإنه لا يتأتى في إطلاق الظلف على الحيوان كله، فإنه يظهر من سياق العبارة (اتبعت على قريش سنو جدب أتحلت الظلف) أن العرب كانت تميز بين أنواع الحيوانات بالعضو الذي تطا به الأرض في مشبيها يدل على ذلك الحديث الذى أورده صاحب لسان العرب (لا سبق إلا فى خف أو نصل، أو حافر) وقد عقب عليه بقوله "فالخلف الإبل هننا، والخافر الخيل، والنصل السهم الذى يرمى به"^(٢)

ويبدو أن قائل عبارة (اتبعت على قريش ...) كان يقصد منها الحيوانات التي يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها في أغلب أحوالهم، وهي البقر، والغنم، وما أشبهها هي التي تهمهم، وتعنيهم،

(١) ينظر الرسالة البيانية، للصياغ، وحاشية الإنطابى عليها / ٢٠٠ .

(٢) لسان العرب ١٢١٣/٢ (خلف).

ومن هنا كان للظرف في نظرهم قيمة، لأنَّه يمثل هذه الحيوانات، ويبيِّنها عما عداها من الحيوانات، فاستحق أن يطلق على الحيوان كله، وهذا يؤكد (أن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم^(١)).^(١)

ثانية ، أنه كان أحياناً يذكر أمثلة من قبيل تلك العلاقة، ويذكر عقبها أن فيها تسمية للشيء ببعضه، فقد بين في أحد المراضع أن القراءة - أى القراءة - يطلق على الصلاة؛ لأن القراءة بعض منها فقال :

"... وقرأت الكتاب قراءة وقرأنا^(٢) ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن فهو مقرئ، وقال ابن الأثير تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللنطة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن، لأنَّه جمع القصص، والأمن، والنهي، والوعد ، والوعيد ، والآيات وال سور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران قال - أى ابن الأثير - وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها.."^(٣)

(١) أسرار البلاغة ٣٦٧.

(٢) واضح أنَّ كلمة (قرآن) هنا مصدر مراد للقراءة كما سيجيء بعد قليل.

(٣) لسان العرب ٣٥٦٣/٥ (قرأ).

فقوله الذي يباركه، وارتضاه، ونقله عن ابن الأثير إن القرآن -
يعنى القراءة - يطلق على الصلاة (لأن فيها تسمية للشىء ببعضه)
يشير إشارة واضحة إلى مضمون علاقة المجازية التي يطلق فيها اسم
الجزء على الكل، ولم يذكر صاحب اللسان في هذا الموضع مثلاً أطلق
فيه القرآن على الصلاة، ولعله كان يلوح بما ذكره إلى ما جاء في قوله
تعالى : "وَقُرْآنُ الْفِجْرِ إِنْ قَرْآنُ الْفِجْرِ كَانَ مَشْهُوداً" ^(١) ففقد قال
الزمخشري "... (وَقُرْآنُ الْفِجْرِ أَيْ صَلَاةُ الْفِجْرِ) سُمِّيَتْ قُرْآنًا وَهُوَ
القراءة؛ لأنها ركن..." ^(٢)

وبهذا يتضح أن إطلاق (القرآن) على الصلاة مجاز مرسل
علاقته المجازية، أما إطلاقه على القراءة، فهو حقيقة؛ لأن حينئذ يكون
مصدراً مرادفاً للقراءة كما تبدي من الكلام الذي سلف ذكره، ويؤكده
هذا النحو، ويدعمه إطلاقه على القراءة في قوله تعالى : "إِنْ عَلَيْنَا
جُمْدَةٌ وَقُرْآنٌ" ^(٣) أي قراءة ^(٤)

وقد أفادنا بما أورد، صاحب لسان العرب في هذا الموضع أن
القرآن الكريم سمي بهذا الاسم؛ لأنه مقتروء، أو لأنه جمع القصص،
والأوامر، والنواهى، والوعود والوعيد... ^(٥).

(١) الإسراء / ٧٨.

(٢) الكشاف ٢/٣٧٢ وينظر البرهان في علوم القرآن، للزرکش ٢/٢٦٦.

(٣) القيامة / ١٨.

(٤) ينظر لسان العرب ٥/٣٥٦٣ (قرآن).

(٥) ينظر المصدر نفسه والموضع.

ومن هذا القبيل الذي عقب فيه على بعض أمثلة هذه العلاقة بأن فيها تسمية للشيء ببعضه ما ذكره حول تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ركوعاً؛ لأن الركوع جزء منها فقد قال في بعض الموضع:

"... وجب الرجل وضع يديه على ركبتيه في الصلاة، أو على الأرض، وهو أيضاً انكبابه على وجهه... وفي الحديث أن وقد ثقيف اشترطوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا (١) يعشروا، ولا يعشروا، ولا يجربوا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا خير في دين لا ركوع فيه" (٢).

ثم نقل عن ابن الأثير قوله "... والمراد بقولهم لا يجربون أنهم لا يصلون، ولفظ الحديث يدل على الركوع والسجود؛ لقوله في جوابهم ولا خير في دين ليس فيه ركوع، فسمى الصلاة ركوعاً لأنه بعضها" (٣).

واضح أن تسمية الصلاة ركوعاً مجاز مرسل علاقته المجزئية، وهذا مجاز قرآن مشهور لا أجد حاجة إلى ذكر شواهد منه في هذا الصدد.

(١) في لسان العرب طبعة دار المعارف (أن يعشروا) دون (لا) والصواب ما أثبتته، ولعله خطأ مطبعي، وقد كتب صحيحها في مادة (حشر) (عشر).

(٢) لسان العرب ١/٥٤٢ (جيبي).

(٣) المصدر نفسه، والموضع.

وهنا أجد أن من المفيد الذي يقتضيه المقام أن أشير إلى معنى اشتراطهم (ألا يعشروا، ولا يحشروا) بعد أن أصبح واضحاً لدينا أن معنى اشتراطهم (ألا يجبروا) أى لا يصلوا، وإن كان ذلك بعيداً عما نحن فيه من حديث المجاز، حتى لا يترك قارئ هذا العمل متطلعاً إلى معرفته، والوقوف على فحواه، وقد أغناى صاحب اللسان - رحمة الله - عن مثونة البحث في مصادر أخرى، فقد بين في مادة (حشر) أن معنى (لا يحشروا) أنهم لا ينذبون إلى المغازي والجهاد^(١) وبين في مادة (عشر) أن معنى (لا يعشروا) أى لا يؤخذ عشر أموالهم أى لا يدفعون الزكاة^(٢) وقد يستغرب كل من يقرأ هذا الحديث، ويتسائل كيف يسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لشقيق أن يتربكاً في الجهاد، وهو ذروة سلام الإسلام، وأن يسقط عنهم الزكاة؟.

والإجابة عن هذا التساؤل أنه صلى الله عليه وسلم "أراد أن يتأنفُّهم، ويدرجهم شيئاً فشيئاً"^(٣) فإذا ما ذاقوا حلارة الإيمان، امتنعوا إلى جميع أوامره.

وقد سئل جابر - رضي الله عنه - عن اشتراط ثقيف ألا صدقه عليها ولا جهاد، فقال علم - أى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنهم سيتصدقون، ويعاهدون إذا أسلموا، ولم يرخص لهم في ترك الصلاة؛ لأن وقتها حاضر متكرر بخلاف وقت الزكاة والجهاد^(٤).

(١) لسان العرب ٨٨٣/٢ (حشر).

(٢) المصدر نفسه ٤٩٥٣/٤ (عشر).

(٣) المصدر نفسه والموضع.

(٤) المصدر نفسه ٥٤٤/١ (جبن).

ثالثتها : ألا يصرح بالنظر المجاز ، ولا يذكر أن ذلك من تسمية الكل باسم الجزء ، ولكننه يصرح بنقل اللفظ من الجزء إلى الكل ، وهذا بعينه هو المجاز المرسل بعلاقة الجزئية فقد قال في أحد الموضع : « يا القوم يرثونهم رأي ، ورأي لهم ، اطلع لهم على شرف ... والرئيسة الطليعة ، وإنما أنشوه » لأن الطليعة يقال لها العين ، إذ بعينه ينظر ، والعين مؤنثة ، وإنما قيل لها عين ، لأنها يرثى أمورهم ، ويحرسهم ، وحکى سيبويه في العين الذي هو الطليعة أنه يذكر ورثت ، فمن أنت ، فعلى الأصل ، ومن ذكر ، فعلى أنه قد نقل من الجزء إلى الكل »^(١)

لكون اللفظ قد (نقل من الجزء إلى الكل) صريح في أنه مجاز لغوى ، لم يبن على علاقة المشابهة ، فيكون مجازاً مرسلًا بعلاقته الجزئية .

ونلحظ أن هذه الحكاية التي حكهاها (سيبوه) تعتبر إشارة مبكرة جداً إلى المجاز المرسل بشكل عام ، وإلى علاقة الجزئية بوجه خاص ، ومعلوم أن (سيبوه) متوفى عام ١٨٠ هـ .

وقد زاد صاحب لسان العرب أمر الرئيسة توضيحاً فقال إن كلامه السابق : ... وفي الحديث مثلى ومثلكم كرجل ذهب يربأ أهلها ^(٢) أي يحفظهم من عدوهم ، والاسم الرئيسة ، وهو العين ، والطليعة الذي ينظر للقوم ، لثلا يدهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه ^(٣) .

(١) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (نها)

(٢) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٤٨٤/١ .

(٣) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (نها)

وقد أشار صاحب اللسان في موضع آخر إلى أن العين^(١) الذي ينظر للقوم قد نقل من الجزء إلى الكل، وهذا هو الذي جعلهم يذكرونه فقال : "والعين الذي ينظر للقوم يذكر ويؤثر، سمي بذلك؛ لأنه إنما ينظر بعينه، وكأن نقله من الجزء إلى الكل هو الذي حملهم على تذكرة، وإلا فإن حكمه التأنيث، قال ابن سيده وقياس هذا عندي أن من حمله على الجزء فحكمه أن يؤثره، ومن حمله على الكل فحكمه أن يذكره، وكلاهما قد حكاه سيبويه..."^(٢)

وفيما ذكره هؤلاء اللغويون حول تذكرة كلمة (العين) إذا أريد به الطبيعة إشارة جلية إلى أثر المجاز في الكلمة، فقد تغير من أجله حكم الكلمة من التأنيث إلى التذكرة، فكأنها اندرقت من معناها الأصلي، وصبت في قالب مجازي جديد، استدعى حكماً جديداً.

ويمكن توضيح ذلك بمثال فيقال - مثلاً - هذه عين باكية من خشبة الله، بتأنيث (عين) الباصرة، لأنها جزء من الإنسان، فإذا ما نقلت (عين) إلى الرئيسة والرقيب يقال سهر عين يقطان على حراستنا بتذكرةها، لأنها أطلقت على الرقيب كله.

وقد اتّخذ البلاغيون من إطلاق العين على الرقيب منطلقًا إلى بيان أهمية الجزء الذي يطلق على الكل، وأنه ينبغي أن يكون له متى يد اختصاص بالمعنى المراد ، فقد قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني بعد أن أشار إلى بعض علاقات المجاز المرسل وأمثلتها: "...فالعين لما كانت المقصودة في كون الرجل رئيسة صارت كأنها الشخص كله؛ إذ كان لولا مداها لا يعنى شيئاً مع فقدها"^(٣).

(١) لسان العرب ٤/٣٩٧ (عين).

(٢) أسرار البلاغة ٣١٨.

وقد استلهم قول الشيخ، وسار على سنته من جاءه بعده من البلاغيين، فقد قال السكاكي : "... ونحو أن يراد الرجل بالعين، إذا كان رئيسة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل رئيسة صارت كأنها الشخص كله" (١).

وقال سعد الدين التفتازاني : "... كالعين وهي المبارحة المخصوصة في الرئيسة وهي الشخص الرقيب، والعين جزء منه، ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل..." (٢).

وفيما ذكرته من كلام بعض البلاغيين غنية، وكفاية في هذا المقام (٣).

بقيت هنا نقطة أود أن أشير إليها، وهي الصاحبة، والارتباط بين كلمات العين والرئيسة، والطبيعة في كلام صاحب لسان العرب، وبعض البلاغيين، فتجد صاحب اللسان يقرز بينها في قوله: "والاعتنان الارتياد، ويعتنا عيناً أى طبيعة يعتننا، ويعtan لنا أى يأتينا بالخبر... واعtan لنا أى صار لنا عيناً أى رئيسة.." (٤).

(١) المفتاح ١٧٢/.

(٢) المختصر ٣٦-٣٥/٤ شرح التلخيص.

(٣) وينظر بقية الإيضاح ٩٥/٣ والأطول للعصام ١٢٠/٢.

(٤) لسان العرب ٣٩٧/٤ (عين).

فقد فسر كلمة (عين) مرة بالطبيعة، ومرة بالريينة، وقد سبق أن أوردت في صدر هذا الحديث عن استعمال العين مجازاً في الرقيب قوله .. والريينة الطبيعة، وإنما أنشوه لأن الطبيعة يقال لها العين... وقد بحثت عن معنى كلمة (الطبيعة) فوجدها يذكر في مادة (طلع) أنها تستعمل في الواحد والجمع الذين يستطيعون أخبار العدو، ويراقبون تحركاته فقد قال :

"والطبيعة القوم يبعشون لطالعة خبر العدو، والواحد والجمع فيه سواء، وطبيعة الجيش الذي يطلع من الجيش يبعث ليطلع طبع العدو... وفي الحديث أنه بعث بين يديه طلائع هم القوم الذين يبعشون ليطلعوا طبع العدو كالمجوسيس واحدهم طبيعة".^(١)

ومن البلاغيين الذين جمعوا بين هذه الكلمات الثلاث العصام رحمة الله - فقد صرخ بأن العين تستعمل في الريينة، والريينة الطبيعة..^(٢)

ولعله بذلك الجمع يكون قد استدرك ما فات أمثال الشيخ عبد القاهر، والسكاكى والخطيب التزويقى الذين ذكروا فى هذا المجال أن العين استعملت في الريينة دون أن يكشفوا الغطا، عن معنى الريينة.^(٣)

(١) لسان العرب ٤/٢٦٩٠ (طلع).

(٢) ينظر الأطول، للعصام ٢/١٢٠.

(٣) ينظر أسرار البلاغة ٣١٨ / المفتاح ١٧٢ / وينية الإباض ٩٥/٣.

وغني عن البيان أن كلمتي الريبيبة، والطليعة، قد أتني بهما في الكلام السابق لـ^أ. ضيق المراد بكلمة العين عندما تطلق مجازاً على الشخص كله، وكلتاها قد استعملت في معناها الحقيقي.

وابعاتها : أنه كان في بعض الأحيان يشرح مضمون المجاز، ويوضح مفهومه دون أن يصرح بذلك المجاز، أو الجزئية، أو شيء من هذا التبديل، فقد ذكر في أحد الموضع أن التسبيح يأتي بمعنى الصلاة، وفي هذا إشارة إلى أنه أطلق على الصلاة؛ لأنه جزء منها "... تقول قضيت سبحتي، وروى أن عمر رضي الله عنه جلد رجلين سبحا بعد العصر أى صلبا قال الأعشى :

وبسج على حين العشيّات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبده

يعنى الصلاة بالصباح والمساء، وعليه فسر قوله تعالى (فسبحان الله حين نمسون وحين تصبحون) ^(١) يأمرهم بالصلاحة في هذين الوقتين، وقال الفراء (حين نمسون) المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وعشيها) العصر وحين تظهرون ^(٢) الأولى

(١) الروم / ١٧.

٢) الروم / ١٨.

(٢) في معانى القرآن، للنراة (وحين تظهرون) صلاة الظهر ٣٢٣/٢ ولعل صاحب اللسان أو من أخذ عنه وجد في إحدى نسخ معانى القرآن كلمة (الأولى) بدل صلاة الظهر بناه على ما هو مشهور من أن جبريل صلى بالرسول صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر قبل أى صلاة أخرى.

وقوله تعالى (وسبح بالعشى والإبكار) * أى وصل، قوله عزوجل
(فلولا أنه كان من المسيحين) ^(١) أراد من المسلمين قبل ذلك ...
وقد سبق أن المحت إلى أن إطلاق التسبيح على الصلاة من
المجازات اللغوية التي عرفت منذ عهد مبكر، فقد أشار إليه أبو عبيدة
في كتابه (مجاز القرآن) ^(٢)

ومن هذا الضرب أيضاً ما نقله صاحب لسان العرب عن بعض
اللغويين، ومضمونه إطلاق لفظ الكلمة على كلمة التوحيد وهي مركبة
من كلمات، وهذا يعني أنها مجاز مرسل علاقته الجزئية فقد قال :
... قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) ^(٣) قال الزجاج عن
بالكلمة هنا كلمة التوحيد لا إله إلا الله، جعلها باقية في عقب
إبراهيم لا يزال من ولده من يوحد الله عزوجل ^(٤).

وواضح أن إبراهيم عليه السلام لم يقل لا إله إلا الله صراحة
كما قال الزجاج، وإنما قال (إنني برأ ما تعبدون إلا الذي فطرني) ^(٥).

* آل عمران / ٤١.

(١) الصافات / ١٤٣.

(٢) لسان العرب ٣ / ١٩١٦ (سبع)

(٣) عند الكلام عن المجاز المرسل عند أبي عبيدة.

(٤) الزخرف / ١٨.

(٥) لسان العرب ٥ / ٣٩٢٢ (كلم)

(٦) الزخرف / ٢٦.

وهذا القول يعدل لا إله إلا الله، وقد صرخ بذلك الإمام فخر الدين الرازي - رحمة الله - حين قال في تفسير الآية : "... (وجعلها) أى وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله (إنتي برأ ما تعبدون) جار يا مجرى (لا إله) وقوله (إلا الذي فطرني) جار يا مجرى قوله (إلا الله) فكان مجموع قوله (إنتي برأ ما تعبدون إلا الذي فطرني) جار يا مجرى قوله (لا إله إلا الله) ^(١).

وسواه قلنا إن لفظ (كلمة) أطلق على كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أو على قوله (إنتي برأ ما تعبدون إلا الذي فطرني) الذي يعدلها، فإنه مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن فيه تسمية الكل باسم الجزء.

وأطلاق الكلمة على الكلمات مجاز قرآن مشهور، فقد سمي الله قول الكفار (قالوا اتخذ الله ولدا) ^(٢) كلمة في قوله تعالى (كثيرون كلام تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبها) ^(٣) وهو كلمات، وسمى هذا الكلام كما تسمى التصيدة كلمة ^(٤).

وجعل سبحانه وتعالى - قوله (إنهم لهم المنصوروون وإن جندنا لهم الغالبون) ^(٥) كلمة في قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ^(٦) وهو كلمات عديدة.

(١) التفسير الكبير ١٤ ٢٠٩/١.

(٢) الكهف ٤/٥.

(٣) التفسير الكبير ١١ ٧٩/١.

(٤) الصافات ١٧٢، ١٧٣.

(٥) الصافات ١٧١.

ومن هذا الصنف كذلك ما نقله صاحب لسان العرب عن الزجاج أيضاً في تفسير (وجهه) من قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه)^(١) فقد قال "... قال الزجاج أراد إلا إيه"^(٢) أي إلا ذاته، كما ذكر في صدر الكلام عن هذه العلاقة، فيكون إطلاق الوجه على ذاته تعالى مجازاً مرسلة علاقته الجزئية.

(١) القصص / ٨٨.

(٢) لسان العرب ٦/٤٧٧٥ (وجه)
وينظر معانى القرآن، للتراث، ٣١٤/٢

المحلية

هي كون الشئ مملاً لآخر نحو جرى الميزاب أى الماء^(١). وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة على عدة وجوه أحدها : أن يصرح بأن إطلاق المحل على الحال اتساع ، فقد قال في أحد المواقع «..... والغوط والفانط المتسع من الأرض مع طمانينة ... الغوط عمق الأرض الأبعد ، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غانط ، ولموضع قضا ، الحاجة غانط»؛ لأن العادة أن يقاضى في المنخفض من الأرض حيث هو أستر له ، ثم اتسع فيه حق صار يطلق على «النجو» نفسه ، والغانط العلرة نفسها ؛ لأنهم كانوا يلقونها بالغيطان^(٢) فالغانط في الأصل موضع منخفض من الأرض ، وقد يخرج عن معناه على سبيل المجاز ويطلق على ما يخرج من البطن؛ لأنهم كانوا يلقونه بالغيطان من إطلاق المحل على الحال ، فالعلاقة في هذا المجاز المحلية ، والنجو ما يخرج من البطن أيضاً ، ومنه قولهم استنجى فلان أى مسح موضع النجو أو غسله ، ويقال أخجى أى أحدث^(٣) . ثانيةها : أن يذكر أن الشئ يسمى باسم موضعه أى محله ، فقد قال في أحد المواقع : «..... والجبان والجبانة بالعشديد الصحراً ، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء ، تسمية للشئ بوضعه»^(٤) .

(١) الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٤٠ .

(٢) لسان العرب ٣٣٦٦/٥ (خرط) .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٣٦٠/٦ (جبا) .

(٤) المصدر نفسه ٥٤٠/١ (جبن) .

فقد أطلق اسم الجبانة ، وهى الصحراء على المقابر ، فسميت المقابر جبانة ، لأنها تكون بالصحراء من إطلاق اسم المجل على الحال فيه ، فتوله (تسمية للشىء بوضعه) واضح الدلالة على أنه يعني علاقة محلية ، لأن اسم الموضع أطلق على الموضع فيه ، أو بعبارة أخرى أطلق اسم المجل على الحال فيه .

ثالثها : أن يفهم من شرحه وبيانه أنه يقصد علاقة محلية ، فقد قال في أحد الموارض : «فضضت الشئ فأضنه فضاً فهو مفهوم وفضييض كسرته ومزقته ... وفي الدعا ، لا يفضي الله فاك أى لا يكسر أسنانك ، والضم هنا الأسنان كما يقال سقط فهو يعني الأسنان ... أو تقديره لا يكسر الله أسنان فبك فحذف المضاف يقال فضه إذا كسره ، ومنه حديث النابغة الجعدي لما أنشده القصيدة الرائية قال لا يفضي الله فاك ^(١) قال - أي الجوهري - فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن » ^(٢) .

فعلى القول الأول الذي لا يقدر فيه مضاد محدوف يكون الفهم قد أطلق على الأسنان : لأنه محلها ، فتكون العلاقة محلية .

وقصيدة النابغة الجعدي التي يلوح إليها صاحب لسان العرب ،

هي التي جاء فيها :

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣ / ٦٥٤ .

(٢) لسان العرب ٤ / ٣٤٢٦ ، ٣٤٢٧ .

ولآخر في حلم إذا لم يكن له بوادر تحسى صفة أن يكدرها
ولآخر غيره، جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدراً^(١)

ومن هذا القبيل الذي يفهم من شرحه أنه يقصد علاقة المحلية
ما ذكره في أحد الموضع من أن العذرة تطلق على الغائب الذي يخرجه
الإنسان، والعذرة في الأصل فناء الدار فقال :

«والعاذر والعذرة الغائب الذي هو السلح وفي حديث ابن عمر
أنه كره السلت الذي يزور بالعذرة يريد الغائب الذي يلقيه الإنسان ،
والعذرة فناء الدار وفي حديث على أنه عاتب قوماً فقال : مالكم
لاتنطرون عذراتكم أي أفنيةكم...»^(٢).

فكلامه يشير إلى أن العذرة في الأصل فناء الدار ثم أطلقت
على الغائب الذي هو السلح، والتبرؤ إطلاقاً للم محل على الحال، ولذلك
قال عقب كلامه السابق :

«وفي الحديث إن الله نظيف يحب النظافة فنظروا عذراتكم
ولا تشبهوا باليهود^(٣) ... قال أبو عبيدة وإنما سميت عذرات الناس
بهذا لأنها كانت تلقى بالأفنيّة، وقال الخطيب يهجو قومه ويدرك
الأفنيّة :

لعمري لقد جرتكم فوجدتكم قباج الوجه سين العذارت»^(٤)

(١) ينظر شعر النابغة الجعدي / ٦٩ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق
ط أولى ١٩٦٤ م.

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ وينظر كتاب النهاية .. لابن الأثير ١٩٩/ ٣.

(٣) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير
١٩٩/ ٣.

(٤) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ (عل).

الحالية

الحالية كون الشئ حالاً في غيره كقوله تعالى «فَنِي رحمة الله»^(١) يعني الجنة التي تحمل فيها الرحمة ...^(٢).

وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة في موضع من لسانه، ولم أعثر - قدر جهدي - على موضع ذكر فيه أن إطلاق الحال على المحل مجاز، ولكنه صرخ في أحد هذه الموضع بأنه اتساع، وعلى ذلك فإن تناوله لهذه العلاقة جاء على وجهين :

أحدهما : أنه أشار إلى أن إطلاق الحال على المحل اتساع، فقد أورد ماجاء في حديث جابر «عقلت الجمل في ناحية البلاط»^(٣) ثم عقب عليه بقوله «البلاط ضرب من الحجارة تفرض به الأرض ثم سمي المكان بلاطاً اتساعاً وهو موضع معروف بالمدينة تكرر ذكره في الحديث»^(٤).

ويبدو أن هذا المكان كله قد سمي بلاطاً تسمية له باسم الحال فيه، لأن البلاط حال في هذا المكان ، وبناء على ذلك تكون العلاقة في هذا المجاز هي الحالية، وللمزيد في كلام لسان العرب ففي هذا

(١) آل عمران / ١٠٧ .

(٢) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٣٦ - ٢٢٨ .

(٣) الحديث في كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٥٢/١ وينظر الحديث في فتح الباري ١٤٠/٥ .

(٤) لسان العرب ٣٤٤/١ وقد جاء في (فتح الباري....) أن (البلاط) موضع قرب مسجد المدينة . جزء المقدمة / ٩٤ .

الموضع أن ما يتردد على ألسنة الناس من مثل قولهم بلطت البيت، أو الدار أسلوبٌ يبي فصيح، ويؤيد ذلك قول الزمخشري أيضاً بـ
داره إذا فرشها بصخر أو آجر، وما أحسن بلاط صحنك^(١).

وفي لسان العرب دار مبلطة بأجر أو حجارة، ويقال بلطت الدار
فهي مبلطة إذا فرشتها بأجر أو حجارة^(٢).

ثانيهما : أنه قد يشير إلى أن الشيء يسمى باسم الحال فيه،
وذلك يعني أنه يقصد علاقة الحالية، فقد قال في أحد المراضع :
«... والخدمة السير الغليظ المحكم مثل الخلقة يشد في رسم البعير
... والخدمة الخلخال، وهو من ذلك، لأنه ريا كان من سبور يركب
فيها الذهب والفضة، والجمع خدام، وقد تسمى الساق خدمة حملأ
على الخلخال؛ لكونها موضعه، والجمع خدم وخدم قال :

كيف نومي على الفراش وما تشمل الشام غارة شعراً^(٣)
تلعل الشيخ عن بيته وتبعد عن خدام العقيلة العذراء
أراد وتبعد عن خدام العقيلة، وخدم ههنا في نية عن
خدمتها.. وفي حديث سلمان أنه كان على حمار وعليه سراويل
وخدماته تذهبان^(٤) أراد بخدمتيه ساقية؛ لأنهما موضع الخدمتين،
رهما الخلخالان^(٥).

(١) أساس البلاغة (بلط).

(٢) لسان العرب ١/٣٤٤ (بلط).

(٣) غارة شعراً، أي متشرة.

ينظر لسان العرب ٤/٢٢٨٢ (شعراً).

(٤) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/١٥.

(٥) لسان العرب ٢/١١١٥ (خدم).

واضح من كلام لسان العرب الذى سلف ذكره أن الساق سميت خدمة؛ لأنها موضع الخدمة أى الخلخال، وقد مثل لذلك الاستعمال بما جاء فى حديث سلمان (وخدماته تذهبان) أى ساقاه، وقول الشاعر (وتبدى عن خدام العقيلة) فيكون المقصود من (خدم العقيلة) فى البيت ساقيها ، فالغارقة تذهب الشیخ عن بنیه، وتجعل العذراء الكريمة تفر منها مشمرة عن ساقيها ، إمعاناً في الهرب ، واستسلاماً للفرار، ولكنى وجدت صاحب (مشاهد الإنصال على شواهد الكشاف) ذهب إلى عكس ذلك، ففسر (خدم العقيلة) فى البيت بالخلخال عندما قال «إذهال الشیخ عن بنیه كناية عن اشتدادها - أى الفارة - وكذلك كشفها عن خدام العقيلة والخدم الخلخال»^(١) .

وإذا كان كشف الغارقة عن خدام العقيلة كناية عن شدتها - كما قال - فإن الذى يتتسق مع هذه الشدة ، ويتلاءم معها أن يكون المراد بها ساقيها كما ذكر فى لسان العرب ، والذهاب إلى أنها الخلخال يضعف - كما يبدولى - المعنى الذى تتوخاه هذه الكناية؛ لأن الخلخال عادة يكون أسفل الساق فلا يتبين كشفه عن قوة الغارة ، وشدتها .

وإطلاق الخدمة - أى الخلخال - على الساق؛ لأنه موضعه، أو لأنه حال بها من الأمثلة التى لم تعهد لها كتب البلاغة المألفة، أو

(١) مشاهد الإنصال على شواهد الكشاف ، للشيخ محمد علیان المرزوقي / ٧ في نهاية الجزء الرابع من الكشاف . ط دار المعرفة - بيروت .

تسطرها أقلام البلاغيين المشهورين في علاقة الحالية ، ولعلها محتسب من الإضافات البلاغية التي أضافها هذا العمل المتواضع المائل بين أيدينا .

ومن هذا النوع ماذكره في مادة (ثأر) فقد قال : « ويقال ثأرت القتيل وبالقتيل ... أى قتلت قاتله ... وأثار نلان من فلان إذا أدرك ثأره ، وكذلك إذا قتل قاتل وليه ... وفي حديث عبد الرحمن يوم الشورى لاتفدوا سيفوكم عن أعدائكم فتوتروا ثأركم ^(١) الشأن هنا العدو؛ لأنه موضع الشأن أراد أنكم تكونون عدوكم من أخذ وتره عندكم يقال وتره إذا أصبهه بوتر وأوترته إذا أوجدهه وتره ومكتنه منه» ^(٢) .
فقوله (الشأن هنا العدو، لأنه موضع الشأن) صريح في أنه أطلق الشأن على العدو؛ لأن م محل له، وسمى العدو ثأراً، لأن الشأن حال فيه، وتلحظ مما ذكر من أمثلة هذه العلاقة أن الحال قد يكون اسم ذات مثل البلاط، والخدمة، وقد يكون معنى من المعانى مثل الشأن، ومثل الرحمة كما في قوله تعالى (فَنِعْ رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) ^(٣) أى جنته وقد ليس هذا المعنى العلامة الصبان عندما ذكر أن المراد بالخلول في هذه العلاقة ما يشمل حلول المتمكن في المكان،

(١) الحديث في كتاب النهاية في غرب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١ / ٢٠٥ .

(٢) لسان العرب ١/٦٦٦ . (ثأر) .

(٣) آل عمران ١٠٧ .

وحلول الأعراض في موضوعاتها^(١) ومن حلول الأعراض في
موضوعاتها ، ماجاء في قوله تعالى «خذوا زينتكم عند كل
مسجد»^(٢) فإن المراد بالزينة في الآية للباس ، لأن الزينة حالة فيه ،
وقائمة به^(٣) .

(١) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٤٣٩ .

(٢) الأعراف / ٣١ .

(٣) ينظر حاشية الإباهي على الرسالة البيانية / ٤٣٩ .

الفصل الثالث

المجاز عن المجاز

الفصل الثالث المجاز عن المجاز

عهدنا بالمجاز أنه «كل كلمة أريده بها غير ما وقعت له في وضعها للاعنة بين الثاني والأول»^(١).

فالكلمة المستعملة فيما وضعت له حقيقة، فإذا نقلت عن هذا المعنى إلى معنى آخر له صلة بالأول، كانت مجازاً، فمثلاً كلمة (رحمة) في قولنا رحمة الله تتنزل على عباده ليلاً نهار حقيقة؛ لأنها استعملت فيما وضعت له، لكنها في قوله تعالى «فَامَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ رَبِّهِمْ فِي رَحْمَتِهِ...»^(٢) مجاز عن الجنة؛ لأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله^(٣) واضح أن القراءة (فيدخلهم...) لأن الدخول لا يكون إلا في مكان والرحمة معنى من المعانى لا يتأتى الدخول فيها.

وقد يكون المجاز ليس متفرعاً عن الحقيقة مباشرة، ولكنه متفرع عن مجاز آخر نزل منزلة الحقيقة بالنسبة للمجاز الذي تفرع عنه، وقد مثل له عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سراً)^(٤) فقال : «... إنَّهُ مجازٌ عن مجازٍ فبيان السُّرُطَةِ

(١) أسرار البلاغة / ٧٨١ .

(٢) الجاثية / ٣٠ .

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن ، لأبن قتيبة / ١٤٥ .

(٤) البقرة / ٢٣٥ .

يتجاوز عنه بالسر ، لأنه لا يقع غالباً إلا في السر ، فلما لازم السر في الغالب سمي سراً ، ويتجاوز بالسر عن العقد ، لأنه سبب ، فيه ، فالمحسن للمجاز الأول الملازمة ، والمحسن للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب ، كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سراً لأنه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المحسن ، فمعنى قوله (ولكن لا تواعدوهن سراً) لا تواعدوهن عقد نكاح^(١) .

وقد نقل كلام العزبن عبد السلام حول هذا المجاز الإمام الزركشي ، وزاد عليه ما حكاه عن بعضهم من أن هذا المجاز يسمى مجاز المراتب ، وجعل منه قوله تعالى : «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً»^(٢) فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنتبذ للزرع المتخذ منه الغزل النسوج منه اللباس^(٣) .

والذى دعاني إلى أن أسرج على هذا النوع من المجاز أنتى وجدت صاحب لسان العرب يذكر أمثلة يمكن أن تعد من هذا المجاز ، وإن كان لم يشير إلى أنها مجاز فضلاً عن كونها مجازاً عن مجاز ، لكن سياق كلامه يبين أنها من قبيله ، وصنيعه ، فقد ذكر أن السماء ، المطر ، يقال مازلنا نظاً السماء ، أى المطر قال معاويه بن مالك :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاها^(٤)

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) الأعراف / ٢٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٤) ينظر لسان العرب ٢١٠٨/٣ (سما) .

ثم قال : « ويسمى العشب أيضاً سما ، لأنه يكون عن السماء
الذى هو المطر ، كما سموا النبات ندى؛ لأنه يكون عن الندى الذى هو
المطر ، ويسمى الشحم ندى؛ لأنه يكون عن النبات قال الشاعر :

فلا رأى أن السماء ساوهـم أتى خطة كان الخضوع نكيرها
أى رأى أن العشب عشبهم ، فخضع لهم ليرعنى إبله فيه »^(١)
فالسماء أطلقت على المطر لعلاقة المجاورة ، ثم أطلق السماء بمعنى
المطر على النبات لأنه سبب إنباته وكذلك الندى الذى هو المطر أطلق
على النبات لأنه سبب إنباته ، ثم أطلق الندى بمعنى النبات على
الشحم ، لأنه سبب تكونه في جسم الحيوان .

وقد زاد أمر هذا (الندى) بإيضاحاً في موضع آخر ، فحكي عن
بعد اللغرين أن « الندى المطر والبلل ، وقيل للنبت ندى؛ لأنه عن ندى
المطر نبت ، ثم قيل للشحم ندى لأنه عن ندى النبت يكون ، واحتاج
بقول عمرو بن أحمر :

كثير العداب الفرد يضره الندى تعلى الندى في متنه وتحدرأ^(٢)
أراد بالندى الأول الغيث والمطر ، وبالندى الثاني الشحم ،
وشاهد الندى اسم النبات قول الشاعر :

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) العداب : أرض أنبتت أول نبت ثم أيسرت .

ينظر لسان العرب ٤/٢٨٣٢ (عدب)

يلس الندى حتى كان سرمه غطاما دهان أو ديا بيع تاجر^(١)
فالندى يعني المطر حقيقة، وإطلاقه على النبات مجاز مرسل
من إطلاق السبب على المسبب، وإطلاق الندى يعني النبات على
الشح مجاز مرسل أيضاً من إطلاق السبب على المسبب كذلك.
ويبدو أن ندرة أمثلة هذا الصنف من المجاز جعلت البلاغيين
لا يحفلون به كثيراً، ولا يهتمون بدراسةه.

وهنا يعن أمامنا هذا التساؤل هل يمكن أن يسقط من الكلام
المجاز الذي يعتبر واسطة، ويبقى الكلام على مجازيته؟
الذى يبدو من كلام بعض كبار البلاغيين أن هذا أمر ممكن، فقد
ذكر السكاكي - كما سبق في قول التائب :
..... يأكلن كل ليلة إكافا

أن هناك تعلقاً بين (إكاف) و (علف) «أى علفاً بشمن إكاف
للتعلق بين ذلك العلف وبين الإكاف»^(٢).
فنجد أنه ترك الشمن، الذي يعتبر واسطة بين العلف والإكاف،
وجعله مطرياً منسياً، ويظهر ذلك أيضاً في كلمة (رزق) من قوله
تعالى (يتزل لكم من السماء رزقاً)^(٣) فما ذكروا - كما سبق -
أن (رزقاً) يراد به المطر؛ لأن الرزق مسبب عن المطر.

(١) لسان العرب ٦/٤٢٨٧ (ندى).

ومعنى تلك الدائمة النبات تأخذه بمحفلتها. أساس البلاغة (السس)

(٢) المفتاح / ١٧٣ .

(٣) غافر / ١٣ .

فثراهم جعلوا التعلق بين الرزق والمطر، وأهملوا ، أو تناسوا
الواسطة بينهما ، فإن كونه رزقاً ينتفع به لا يتأتى إلا بعد زراعة
الأرض ، ثم حصاد ما أنتجه ، والانتفاع به .

ومثل ذلك ماجاء فى حديث (الوكان ثوابك فى تنور أهلك)
الذى سلف ذكره ، فقد نظروا إلى التعلق بين (ثوابك) والخبيز ، أو
المخطب الذى يوضع فى التنور ، وطروا الشمن الذى يشتري به ،
والدقيق ، أو المخطب الذى يشتري بشمن ذلك الشوب .

الفصل الرابع

بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب

الفصل الرابع

بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب

من العلوم أن كلا من المجاز المرسل والاستعارة مجاز لغوی، والتفرقة بينهما باعتبار العلاقة، فإذا كانت العلاقة المشابهة ، كان هذا المجاز استعارة ، وإذا كانت العلاقة غير المشابهة، كان مجازاً مرسلأ، فالعلاقة هي الفيصل بين المجاز المرسل والاستعارة ، ويمكن أن ينظر إلى اللنط الوارد باعتبارين مختلفين ، فيعد من الاستعارة إذا اعتبرت العلاقة المشابهة ، وبعد من المجاز المرسل إذا اعتبرت علاقة أخرى غير المشابهة، قال سعد الدين التفتازاني : «... فإذا أطلق نحو المشر على شفة الإنسان، فإن أريد تشبيهها بشفر الإبل في الغلظ، فهو استعارة وإن أريد أنه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسн على الأنف من غير قصد إلى التشبيه، فمجاز مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارة، وأن يكون مجازاً مرسلأ باعتبارين »^{١١} .

من أجل ذلك وجدت الإمام فخر الدين الرازى قد وجده في اللفظ الواحد استعارة، ومجازاً مرسلأ باعتبار تصد العلاقة وملحوظتها فيهما، فقد بين أن لفظ (الكلمة) يطلق مجازاً على الكلام الكثير، إما من إطلاق الجزء على الكل ، وأما على تشبيه ارتباط الكلام، وتناسكه بارتباط حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض يقول في هذا

الشأن : «إن إطلاق لفظ الكلمة على المركب مجاز، وذلك لوجهين : الأول إن المركب إنما يتربّك من المفردات ، فإذاً إطلاق لفظ الكلمة على الكلام يكون إطلاقاً لاسم الجزء على الكل والثاني : إن الكلام الكثير إذا ارتبط ببعضه ببعض ، حصلت له وحدة، فصار شبيهاً بالمفرد في تلك الوجوه، والمشابهة سبب من أسباب حسن المجاز، فأطلق لفظ الكلمة على الكلام الطويل لهذا السبب»^(١).

وهذا صريح في أن الكلمة الواحدة يمكن إجراء استعارة فيها إذا قصدت علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، ويعکن أن تكون مجازاً مرسلاً إذا قصد فيها علاقة الملاسة، والأرتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لأى سبب من الأسباب التي أشار إليها البلاغيون «فمدار الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة على العلاقة الملحوظة»^(٢).

وقد ظهرت بعض الكلمات في لسان العرب ذكر صاحبه في بعض الموضع ما يفيد أنها مجاز مرسل، ثم صرخ في موضع آخر من لسانه بأنها استعارة، من هذه الكلمات كلمة (الأملوج) أي الفصن الناعم^(٣) فقد ذكر في أحد الموضع أنها أطلقت على السمن الذي ظهر على بكارة الإبل التي تقتات هذا الفصن، وترعاه؛ لأنّه سبب هذا السمن، فقال «... البكر بالفتح الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة ... وفي حديث طهفة وسقط الأملوج من

(١) التفسير الكبير ١/٢٣ وينظر المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ٢٠٩.

(٢) حاشية الإتيان على الرسالة البيانية ، للصياغ / ١١١ .

(٣) لسان العرب ٦/٤٥٤ (ملحق) .

البكارة^(١) بالكسر جمع البكر بالفتح يريد أن السمن الذي علا بكاره الإبل بما رعت من هذا الشجر قد سقط عنها، فسماه باسم المرعن؛ إذ كان سبباً له^(٢).

فكلامه في هذا المرض صريح في أن إطلاق (الأملوج) الذي ترعرعه بكاره الإبل على السمن الذي كساها، ويدا على أجسامها من إطلاق السبب على المسبب، أي أنه مجاز مرسل علاقته السببية، وذلك ظاهر من قوله (فسماء - أى السمن - باسم المرعن؛ إذ كان سبباً له).

ولكنه ذكر في موضع آخر أن (الأملوج) مستعار للسمن، فسئل: «... ومنه حديث طهشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه قوم يشكرون التحطة، وفي نسخة وقد من اليمن، فقال قائلهم: سقط الأملوج، ومات العسلوج^(٣) ... والأملوج الغصن الناعم .. وفي رواية سقط الأملوج من البكاره هو جمع بكر، وهو الفتى السمين من الإبل، أى سقط عنها ماعلاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة، قال ابن الأثير قاله الرمذاني^(٤).

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٤٩.

(٢) لسان العرب ٣٤٤/١ (بكر).

(٣) العسلوج مالان واخضر من قضبان الشجر.
ينظر المترجم الوجيز مادة (عسل).

(٤) لسان العرب ٤٢٥٤/٦ (ملج).
وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٥٣/٤

ونلحظ أن صاحب اللسان قد حرص على أن يضيف القول باستعارة الأملوج للسن إلى الزمخشري اتباعاً لابن الأثير^(١). مع أن المتأمل في كلام اللسان الذي أورده آنفأ يجد أن المناسب أن تكون كلمة (الأملوج) مجازاً مرسلاً، وليس استعارة، والكلمات التي سيقت في هذا الصدد خير شاهد على ذلك، فالسن الذي علا بكاره الإيل، وجلل أجسامها، إنما كان (يرغى الأملوج) وينهى عن البيان أن الباء في قوله (يرغى) للسببية، وفي ذلك ترشيح، وتدعيم لكون (الأملوج) مجازاً مرسلاً، وليس استعارة. ولا يمكن - كما ييلو - تجعل شبهة بين (الأملوج) والسن؛ لأن السن غطى جميع أجسامها ، فلا ينافي تشبيهه بالأملوج أعني الفصن الناعم ولعل هنا هو السبب الذي جعل ابن الأثير ، وصاحب لسان العرب يحرصان على نسبة القول باستعارة (الأملوج) للسن إلى الزمخشري - رحمة الله - ليضفيا عليها حالة من القراء والشهادات؛ لأن الرجل ذائع الصيت ، جهير الصوت ، رفيع المنزلة في علم البيان .

وقد أغترمت بانعام النظر في هذه المسألة ، وشففت بتحرر القول فيها ، فتسبعت كلام كل من ابن الأثير ، والزمخشري تجاهها ، فوجدت ابن الأثير يقول فيها : «.... وفي رواية سقط الأملوج من البخاره هي جمع بكر ، وهو الفتى السمين من الإيل أى سقط عنها ماعلاها من السن يرعى الأملوج ، فسمى السن نفسه أملوجاً على

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع .

سبيل الاستعارة قاله الزمخشري^(١) وهذه الكلمات التي جاءت في كتاب ابن الأثير هي يقظها وقضيضها كلمات صاحب اللسان التي سبق ذكرها ، ومعلوم أن كتاب ابن الأثير أصل من الأصول التي يأخذ عنها صاحب اللسان .

ووجدت الزمخشري يقول فيها^(٢) ... وروى وسطط الأملوج من البكارة أي هزلت البكارة فسقط عنها ماعلاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة كقوله يصف غيشاً :

أقبل في المتن من رياه أسمة الآبال في سحابة^(٣)
فجعل استعارة (الأملوج) للسمن مناظرة، ومشاكلة للمجاز
فنقول الشاعر (أسمة الآبال في سحابة) ومعلوم أن المجاز في قول
هذا الشاعر من قبيل المجاز المرسل؛ لأن (أسمة الآبال..) مسببة عن
الماء الذي ينزل من السحاب ، فهو مجاز مرسل علاقته المسببة^(٤)

(١) نسخة ٤/٣٥٣.

(٢) أرشدنا إلى مكان كلام الزمخشري حول هذه الاستعارة محقق كتاب النهاية .. لابن الأثير، وإن كنت لم أشر عليه في الموضع الذي أشار إليه، لاختلاف طبعات الكتاب، وسيأتي ذكره عقب هذا الموضع مباشرة .

(٣) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري ٢/٢٧٩.
تحقيق على محمد المجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الملحق وشركاه ط ثانية .

(٤) ينظر المفتاح / ١٧٣ ونحوه الإبضاح ٢/٩٧.

وإذا كان المثل به مجازاً مرسلاً، فإن المثل أيضاً يكون كذلك، وبعبارة أخرى إذا كان المجاز في (أسنة الآيال) مرسلاً، فإن إطلاق (الأملوج) على السمن يكون مرسلاً كذلك.

وقد أغنانا عن هذا القياس ، وتلك الماذرة العلامة جار الله الزمخشري نفسه، فصرح في أحد الموضع من الكشاف بأن المجاز في قول الشاعر (أسنة الآيال...) من إطلاق المسبب على السبب، فذكر عند تفسير قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْسُوْهُنْ فَسَالَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا...»^(١) أَنَ النَّكَاحَ فِي الْأَيَّةِ - يقصد في نكحتم - يعني العقد؛ لأن النكاح مسبب عن العقد، وشبه ذلك يقول الشاعر المتقدم، وتسمية الخمر إثما^(٢) فقال : «... وَتَسْمِيَةُ الْعَدْ نَكَاحاً لِمَا بَسْطَهُ لَهُ مِنْ حِيثِ إِنَّهُ طَرِيقٌ إِلَيْهِ، وَنَظِيرُهُ تَسْمِيَتُهُمُ الْخَمْرُ إِثْمًا؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ فِي اتِّصَارِ الْإِثْمِ، وَنَحْوُهُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ قَوْلُ الرَّاجِزِ (أسنة الآيال في سحابه) سَمِّيَ الْمَالُ بِأَسْنَةِ الْآيَالِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ سَمِّيَ الْمَالُ، وَارْتِفَاعُ أَسْنَمَهُ...»^(٣).

وفي هذا دليل واضح على أن مصطلح الاستعارة الذي ذكره في قوله الذي سبق إيراده (... فَسَمِّيَ السَّمَنُ نَفْسَهُ أَمْلُوجاً عَلَى سَبِيلِ الاستعارة ...) أريد به المجاز المرسل تحقيقاً لمعنى الماذرة ،

(١) الأحزاب / ٤٩ .

(٢) سبق في علاقة المسماة إبراهيد قول الشاعر :

شَرَتِ الْإِثْمِ حَتَّى ضَلَّ عَنِّي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَدْهُبُ بِالْعُقُولِ

(٣) الكشاف ٢٤١/٣ .

والمسائلة بين المجازين إطلاق (الأملوج) على السمن وإطلاق (أسنة الآبال...) على الماء، وإن كانت العلاقة في أولهما السببية وفي الثاني السببية ويكون الزمخشري قد تناهى في إطلاق مصطلح الاستعارة على ما هو مجاز مرسل؛ لأنَّه كان «يتساهم في استعمال المصطلحات العلمية التي حدد هو مدلولها»^(١).

ولعله يكون سائراً على نهج بعض العلماء الذين يجعلون (المجاز كله استعارة كأنك استعارة لفظ من مستحبته الذي وضع له أولاً، ونقلته إلى ما تجوزت به عنه)^(٢).

ومن هذه الكلمات التي ذكر صاحب لسان العرب في بعض الموضع ما يفيد أنها مجاز مرسل، وذكر أيضاً أنها تكون استعارة كلمة (الفرحة) أي الفم، فقد ذكر أنها مجاز مرسل عن القالة أو الكلام فقال : «... وقولهم إن رد الفوهه لشديد أي القالة ، وهو من فهت بالكلام، ويقال هو يخاف فوهه الناس أي قالتهم ، والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم ببعض بالغيبة ، ويقال من ذا يطبق رد الفوهه»^(٣).

وقد ذكرت ذلك في علاقة الأكبة، وذكر صاحب اللسان في حديتها حول هذه المادة نفسها^(٤) ما يدل على أنَّ كلمة (الفرحة) قد

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، للدكتور محمد أبو موسى / ٤٢٢.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، لعز الدين بن عبد السلام / ٢٩ - ٣٠ .

(٣) لسان العرب ٥/٣٤٩٦، ٣٤٩٥ (فوه).

(٤) نفسه ٥/٣٤٩٤ (فوه).

تستعار لفم النهر، أو رأس الوادي ، أو نحو ذلك؛ لأن الفم هو مدخل الأشياء إلى الجوف فقال «... وفوهة السكة والطريق والوادي والنهر فمه ، والجمع فوهات وفوانه .. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فلما تفوه البقيع قال السلام عليكم^(١) يريد لما دخل فم البقيع، فشبهه بالفم؛ لأنه أول ما يدخل إلى الجوف منه، ويقال لأول الزقاق ، والنهر فوهته يضم الفاء ، وتشديد الواو ، ويقال طلع علينا فوهة إبك أي أولها ينزلة فوهة الطريق ...»^(٢) .

ويفهم من كلامه الذي تقدم أن الفوهة أي الفم قد استعيرت لأول السكة ، والطريق والوادي ، والنهر ، وأول قطار الإبل على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأنها - كما هو واضح - في اسم جنس يصدق على كثيرين^(٣) ونلحظ أن في الحديث النبوي الذي أورده استعارة تصريحية تعبية في قوله (تفوه البقيع .. يريد لما دخل البقيع فشبهه بالضم) فليس التشبيه في (تفوه) من التشبيه الاصطلاحي ، بل هو من التشبيه الذي يثبت عليه الاستعارة ، وأمره أظهر من أن يخفي .

والمهم فيما نحن بسيطه أن كلمة (فوهة) استعملت مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبار مختلفين على حسب العلاقة المنظورة إليها .

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٣٦٤/٤٨٩.

(٢) لسان العرب ٥/٢٤٩٤ (فهو) .

(٣) ينظر بقية الإيضاح ٢/١٣٥ .

ومن هذه الكلمات أيضاً كلمة (خدمة) أى الخلخال ، فقد أشار إلى أنها استعملت مجازاً مرسلاً عن الساق من إطلاق الحال على المحل في قوله (... وقد تسمى الساق خدمة حملاً على الخلخال؛ لكونها موضعه) ^(١) وقد سبق ذكره في علاقة (الحالية) .

وذكر في الموضع نفسه أن كلمة (الخدمة) تستعارة لاجتماع القوم ، والحادهم وقوتهم تاسكهم ، فقد قال : «... وقد تسمى حلقة القوم خدمة ، وفي حديث خالد بن الوليد إلى مزانية فارس الحمد لله الذي فض خدمتكم قال - أى ابن سيده - فضل الله خدمتهم أى فرق جماعتهم .. فضرب ذلك مثلاً لذهب ما كانوا عليه ، وتفرقه ، وشبة اجتماع أمر العجم ، واتساقه بالحلقة المستديرة؛ فلهذا قال فضل الله خدمتكم أى فرقها بعد اجتماعها....» ^(٢) .

فكلمة (خدمة) في كلامه السالف الذكر مستعارة لاجتماع العجم ، وترابطهم وإن لم تذكر فيه كلمة استعارة ، أو مااشتق منها ، لكنها معلومة من قوله (وشبه اجتماع أمر العجم ، واتساقه بالحلقة المستديرة) لأن الكلام ليس فيه تشبيه اصطلاحى ، وإنما فيه تشبيه قامت عليه الاستعارة .

وقد دعد أبو هلال العسكري كلمة (خدمة) في قول خالد بن الوليد - رضي الله عنه - استعارة ضمن استعارات كثيرة ذكرها عندما قال : «وما في كلام النبى - صلى الله عليه وسلم ،

(١) لسان العرب ١١١٥/٢ (خدم) .

(٢) لسان العرب ١١١٦/٢ (خدم) .

والصحابة - رضى الله عنهم - ونشر الأعراب، وفصل الكتاب من الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم (كلما سمع هيبة طار إليها) ... وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازية فارس الحمد لله الذي فض خدمتكم وفرق كلمتكم...»^(١)
فنجد أن كلمة (خدمة) قد استعملت مجازاً مرسلأ، واستعارة باعتبارين مختلفين .

ومن الكلمات التي أجري فيها مجاز مرسل ، واستعارة أيضاً
كلمة (القول) أو ما اشتقت منها ، فقد ذكر صاحب لسان العرب أنها تكون مجازاً مرسلأ عن الاعتقادات والأراء ، فقال : «القول الكلام .. وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان ... فاما تجوزهم في تسميتهم الاعتقادات ، والأراء قوله ، فلان الاعتقاد يخفي فلا يصرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لاظهر إلا بالقول ، سميت قوله ، إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملائساً له ، وكان القول دليلاً عليه»^(٢) .

فإطلاق القول على الاعتقادات ، والأراء مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب ، وقد سبق ذكر ذلك المجاز في علاقة المسببة .

(١) الصناعتين / ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢) لسان العرب ٣٧٧٧/٥ (قول) .

وأشار في الموضع نفسه إلى أن القول يستعمل مجازاً في غير نطق الإنسان حين قال : « وقد يستعمل القول في غير الإنسان قال أبو النجم :

قالت له الطير تقدم راشداً . . . إنك لا ترجع إلا حاماً
وقال آخر :

فقالت له العينان سمعاً وطاعة . . . وحدرتنا كالدر لما يشق
... وإذا جاز أن يسمى الرأى، والاعتقاد قوله، وإن لم يكن
صوتاً، كان تسميتهم ما هو أصوات قوله أجذر بالجواز»^(١).
ومفهوم من كلامه الآنف الذكر أن القول حين يستعمل في غير
الإنسان يكون من قبيل الاستعارة؛ لأنّه ينبع عن المقصود بشواهد
الحال، وقراءن السياق كما يترجم الإنسان عن مراده بالكلمات الدالة.
والعبارات المنطقية. فقول الطير، أو قول العينين ليس على سبيل
المقولة، مثل قول الإنسان، بل هو مستعار للدلالة الموجبة المعبرة عن
المطلوب .

واستعارة القول لغير النطق باللسان مجاز مشهور عند
البيانين وأئمّة الفصاحة والذلّة حتى جعله بعضهم مستعارة في
بعض أى الذكر الحكيم لدلالة الحال، وشهادة المقام، فقد ذكر الإمام
فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى : « وإذا أخذ ربك من بني
آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنتكم قالوا
بلى شهدنا ...»^(٢) أن (قالوا ...) في بعض الموارد لا يراد به القول
باللسان فقال : «... ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) الأعراف / ١٧٢ .

دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالأشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى . وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها قوله تعالى «فقال لها وللأرض انتسيا طوعاً أو كرها قالتا أتبنا طائعين»^(١).

ومنه قوله تعالى (إما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)^(٢) . وقول العرب قال المدار للوتد لم تشقني ؟ قال سل من يدقني ... فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ... »^(٣) .

وبناء على ما سبق بيانه يظهر لنا بخلافه، ووضوح أن ما ذكره صاحب لسان العرب من أن الكلمة الواحدة يمكن اعتبارها مجازاً مرسلأ، أو استعارة بحسب العلاقة الملاحوظة فيها مما جار على سنن البيانيين ، وسائر على نهجهم، وإن تساهل في بعض الأحيان فساير بعض البيانيين في إطلاقهم مصطلح الاستعارة على ما هو من قبيل المجاز المرسل ، وقد تبىء ذلك في موافقته على جعل (الأملوج) مستعاراً لسمن بكارة الإبل ، وقد ذكرت ذلك قريباً .

(١) فصل / ١١ .

(٢) النحل / ٦٠ .

(٣) التفسير الكبير ١/٥٣ - ٥٤ .

وينظر تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار / ٣٧٠ .
والباحث البشّاش في تفسير الفخر الرازي / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الفصل الخامس

بين المجاز المرسل والكتابية في لسان العرب

الفصل الخامس بين المجاز المرسل والكتابية في لسان العرب

يظهر من صنيع صاحب لسان العرب أنه يرى أن النّفظ الواحد يمكن أن يكون مجازاً مرسلًا وكناية باعتبارين .

وقد تبدت لى هذه الرؤية من خلال تناوله لبعض الكلمات معينة، فقد أورد في بعض الموضع ما يفيد أن كلمة (السان) تطلق على الكلام واللغة، فنقل عن ابن سيده أن (السان صدق) في قوله تعالى «وأجعل لى لسان صدق في الآخرين»^(١) معناه أجعل لى ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر^(٢) .

وفسر (السان قومه) في قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»^(٣) بلغة قومه^(٤) .

فلليس المقصود من كلمة (السان) العضو المعروف، وإنما المقصود منه اللغة، أو الكلام، ومعلوم عند البلاغيين أن إطلاق اللسان على الكلام مجاز مرسل علاقته الآتية، وهو أشهر مثال لتلك العلاقة يتردّد ذكره في كتب البلاغة .

(١) الشهراوي / ٨٦ .

(٢) لسان العرب ٥ / ٤٠٣٠ (السن) .

(٣) إبراهيم / ٤ .

(٤) ينظر لسان العرب ٥ / ٤٠٣٠ (السن) .

ولكنه ذكر في موضع آخر أن اللسان كنایة عن الكلام فقال : «قطع لسانه أسكنه بإحسانه إليه، وانقطع لسانه ذهب سلطته، وأمرأه قطع اللسان إذا لم تكن سليطة، وفي الحديث أنه قال لما أنشد العباس ابن مردارس أبياته العينية اقطعوا عن لسانه أي أعطوه وأرضوه حتى يسكت^(١) فكثي باللسان عن الكلام، ومنه الحديث أتاه رجل فقال إن شاعر فقال يا بلال اقطع لسانه فأعطاه أربعين درهماً^(٢). فقوله (فكثي باللسان عن الكلام) صريح في أنه جعل (اللسان) كنایة عن الكلام، وقد رأينا أنه جعله في الموضع الذي سلف ذكره مجازاً مرسلأ.

وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على أن اللفظ الواحد عنده يمكن أن يكون مجازاً مرسلأً ويعني أن يكون كنایة.

وما هو يسبب من حديث قطع لسان هذا الشاعر، وإعطائه ما يرضيه ، واستلال سخيمة قلبه أننى وجدت في بعض المراجع أن الذى أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع لسان العباس على بن أبى طالب، وليس بلاكم كما جاء فى الحديث الذى أخذه صاحب لسان العرب عن ابن الأثير ، وقد سبق ذكره آنفاً، فقد رروا أن العباس بن مردارس أنسد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتميل نهبي ونهب العبيد	بين عينيَّة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس	يفرقان مردارس في مجمع
واما أنا دون أمرى منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير ١٦ . ٨٢

(٢) لسان العرب ٣٦٧٦/٥ (قطع).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اقطع لسانه عنى،
نقبض على عليه السلام على يده، وخرج به فقال أقاطع أنت لسانى
يا أبا الحسن؛ فقال إنى لمض فىك ما أمر ... ثم مضى به إلى إبل
الصدقة فقال خذ ما أحبت ، أو كما قال^(١) .

وسواه كان المأمور هو علياً، أو بلاً - رضى الله عنهمَا - فإن
الذى تتوخاه هذه السطور ، وتحراه هو جعل صاحب لسان العرب
(لسانه) فى قوله صلى الله عليه وسلم (اقطعوا عن لسانه) كنایة
عن الكلام بعد أن اعتبره فى موضع آخر مجازاً مرسلأ عن الكلام .

ومن هذه الكلمات التى ألمع إلى أنها مجاز مرسل، وصح
بأنها كنایة كلمة (الرقبة) فقد ذكر فى بعض الموضع أنها تطلق على
ذات الإنسان كلها تسمية للشن: باسم جزئه فقال : «... والرقبة
العنق، وقيل أعلاها .. والرقبة الملوك وأعتق رقبة أى نسمة ، وفك
رقبة أطلق أسيراً سميت الجملة باسم العضو لشرفها . التهذيب وقوله
تعالى فى آية الصدقات (والمزلفة قلوبهم وفي الرقاب)^(٢) قال أهل
التفسير فى الرقاب إنهم المكاتبون ولا يبتدأ منه ملوك فيعتقد ، وفي
حديث قسم الصدقات (وفي الرقاب) يريد المكاتبين من العبيد يعطون
نصيباً من الزكاة يفكرون بها رقابهم ، ويدفعونه إلى موالיהם^(٣) .

(١) ينظر تحرير التعبير ، لابن أبي الاصبع / ٢٥١ .

تحقيق الدكتور حسنى محمد شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(٢) القويم / ٦٠ .

(٣) لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

فقوله بعد أن ذكر أن الرقبة أطلقت على النسمة، وعلى الأسير (سميت الجملة - أي جملة الإنسان - باسم العضو لشرفها) أي لشرف الرقبة على سائر أجزاء الجسم، يومن إلى أن إطلاق الرقبة على ذات الإنسان مجاز مرسل علاقته المترتبة .

ولكنه أورد في الموضع نفسه عن ابن الأثير أن إطلاق العنق على ذات الإنسان كنایة، ومعلوم أن الرقبة والعنق شيء واحد^(١) يقول في ذلك : «.... وفي الحديث كأنما أعتق رقبة قال ابن الأثير وقد تكررت الأحاديث في ذكر الرقبة وعنتها وتحررها وفكها، وهي في الأصل العنق فجعلت كنایة عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه، فإذا قال أعتق رقبة فكانه قال أعتق عبداً أو أمّة، ومنه قولهم دينه في رقبته ... وفي حديث بلال والركائب المناخة لك رقباهن وما عليهم أي ذواتهن وأحمالهن...»^(٢) .

فنجد أنه قد ارتضى قول ابن الأثير ، واحتوى حذوه في جعل الرقبة أو العنق كنایة عن جميع ذات الإنسان ، أو ذات الحيوان كما في جعل رقاب الركائب كنایة عن ذواتهن ، وإن كان من المحظوظ أن ثمة تداخلاً فيما قاله بين الكنایة والمجاز المرسل في قوله (... وهي في الأصل العنق فجعلت كنایة عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه) .

(١) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

(٢) المصدر نفسه والموضع .

ف مصدر العبارة ناطق بأن العنق كنایة عن ذات الإنسان، وعجزها ناطق بأنها مجاز مرسل عن الإنسان ، وهذا يعتبر دعماً ومساندة لكونه يجعل اللفظ الواحد مجازاً مرسلاً، وكناية .

ومن الكلمات التي يداً أن في تناوله لها تداخلاً بين المجاز المرسل، والكنایة أيضاً كلمة (قحف) فقد جعلها كنایة عن الرأس كله، أو مجازاً مرسلاً عنه .. عندما قال : «التحف العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة، والجمجمة التي فيها الدماغ، ومنه حديث (١) أبا هريرة في يوم اليرموك فما رأى موطن أكثر تحفًا ساقطاً أى رأساً فكثي عنه ببعضه أو أراد القحف نفسه.....» (٢) .

فنرى في قوله (فكثي عنه ببعضه) تداخلاً، أو إن شئنا الدقة دمجاً بين الكنایة والمجاز المرسل ، فإن قوله (فكثي عنه) صريح في أن لفظ (قحف) كنایة عن الرأس، وقوله (بعضه) يشير إلى أنه مجاز مرسل علاقته الجزئية عن الرأس نفسه .

ومن الكلمات التي أشار صاحب اللسان إلى أنها يمكن أن تكون مجازاً مرسلاً أو كنایة أيضاً كلمة (عذرة) (٣) وهي سلح الإنسان وغاظته ، فقد قال في أحد الموضع : «والعاذر والعذرة الفاتح الذي هو السلح ، وفي حديث ابن عمر أنه كره السلط الذي يزرع بالعذرة» (٤) يريد الفاتح الذي يلقى الإنسان ، والعذرة فداء .

(١) يبدو أن الحديث هنا بمعناه اللغوي .

(٢) لسان العرب ٣٥٣٧/٥ (قحف) .

(٣) أعمل عن ذكر مثل هذه الألفاظ ، ولعله يشفع لي أن هذه لغة العرب التي وسعت حياتهم، وعبرت عن حاجاتهم .

(٤) ينظر كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٩٩/٣ .

الدار، وفي حديث على أنه عاتب قرموا ف قال مالكم لا تنظفون
عذراتكم^(١) أى أفننتكم .. قال أبو عبيد وإنما سميت عذرات الناس
بهذا، لأنها كانت تلقى بالأقنية ، فكثي عنها باسم الفنا ، كما كثي
بالفانط وهي الأرض المطمئنة عنها»^(٢) واضح من هذا الكلام
الذى ذكره أن العذرة فى الأصل فنا الدار ، وسميت عذرات الناس
بهذا الاسم؛ لأنها كانت تلقى بالأقنية ، وغنى عن البيان أن دور
العرب، وأفنيتهم كانت رحمة واسعة لاتضيق بحاجاتهم، وضروريات
حياتهم .

وبناء على ذلك تكون كلمة (عذرة) أو (عذرات) مجازاً مرسلاً
علاقته المحلية أطلق فيه المحل على الحال فيه .

وفي الوقت نفسه نجد أن عبارة أبي عبيد التي أوردتها صاحب
اللسان في عجز كلامه الذي سبق ذكره تتضمن أن العذرة أى فنا
الدار كنایة عن غائط الإنسان الذي يلقىده في هذا المكان، ويتجلى
ذلك في قوله (.... فكثي عنها باسم الفنا ، كما كثي بالفانط وهي
الأرض المطمئنة عنها) أى العذرة .

وفي علاقة المحلية كذلك أورد صاحب لسان العرب عدة أقوال
في معنى الشياب من قوله تعالى (وَتِسَايِّكْ فَطَهَرْ)^(٣) منها أنها
النفس فقال : «... والعرب تكتنى به الشياب عن النفس وقال :

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٨٦٠ (عذر) .

(٣) المدثر ٤ .

فسلى ثيابك عن ثيابك تنسل (١)
 وفلان دنس الشياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب ، خبيث
 العرض قال أمرى القيس :
 ثيابي بنى عوف طهارى نقبة وأوجههم بيض المسافر غران (٢).
 وقال (الشماخ) (٣).
 رموها بأواب خفاف ولا ترى لها شبه إلا النعام المثرا
 رموها يعني الركاب بأيدانهم، ومثله قول الراوى :
 فقام إليها حبتر سلاحه والله ثواباً جبتر أيا فتى
 يريد ما اشتغل عليه ثوب حبتر من بدنه (٤).

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس وصدره : وإن تلك قد ساءتك مني خليقة..
 ورواية المعلقات التي شرحها الزوزنى (ثيابي من ثيابك) باستبدال
 المحرف (من) بالحرف (عن) ينظر المعلقات السبع شرح الزوزنى ١٤.

(٢) في هامش لسان العرب ذكر أحد معتقليه أن البيت في ديوانه :
 وأوجههم عند المشاهد غران ٥١٩/١ (ثوب).

وذكر صاحب اللسان نفسه في موضع آخر عن ابن برى أن المشهود
 في بيت امرئ القيس .. وأوجههم عند المشاهد غران .
 أي إذا اجتمعوا لفروع حمالة أو لإدارة حرب وجدت وجوههم مستبشرة
 غير منكرة... ٥ ٢٢٣٤/٥ (غرس).

(٣) نسب محقق لسان العرب هذا البيت إلى الشماخ ، وذكر ابن قتيبة
 أن البيت للليل الأخيلية / ١٤٢ تأويل مشكل القرآن .
 وأيد محقق كتاب ابن قتيبة أن البيت لها .
 ينظر هامش تأويل مشكل القرآن / ١٤٢ تحقيق السيد أحمد صقر.
 (٤) لسان العرب ٥١٩/١ (ثوب).

فقد صرخ في حديثه المتقدم بأن الشياب كناية عن النفس، ويلوح شرحه لكلمة الشياب أو نحوها في بعض الشواهد التي ساقها إلى أن الشياب مجاز مرسل عن ذات الإنسان وبدنه، فقد فسر قول ليل الأخيلية (رموها بأثواب) بأنهم رموها بأبدانهم، وغير خاف أن الأثواب محل لهذه الأبدان، وكذلك فسر قول الراعي (ولله ثواب حبتر) بما اشتمل عليه هذان الشريان من بدن، فهما محل لذلك البدن ، وبدنه حال فيها وهذا ظاهر في علاقة المعلية .

وهكذا نجد أن المجاز المرسل والكتناية يمكن أن يتوازى على لفظ واحد، وإن كان ذلك يهدو ليس بادى النظر تناقضًا ظاهراً، لأن المجاز قرنته مالعنة من إرادة المعنى الحتيقى، والكتناية قرنتها مجوزة لإرادة ذلك المعنى^(١) .

وقبيل أن أعرض لإزالة هذا التناقض الظاهر عن هذا الاستعمال أشير إلى أن إطلاق مصطلح الكناية، والمجاز المرسل على اللفظ الواحد أمر لم ينفرد به اللغويون الذين سطر كلامهم صاحب لسان العرب، وذكرت طرقاً منه آنفاً، بل شاركهم في هذا الإطلاق أرباب البيان، وجهاءه بلغة - فضلاً - صاحب الكشاف وهو علم من أعلامهم يشار إليه بالبنان يذكر صوراً من المجاز المرسل، ويسميهما كناية، فقد قال في قوله تعالى «وثيابك فظاهر»^(٢) .

(١) يظهر - مثلاً - بدء الإباضع ١٧٢/٣ .

(٢) المدثر / ٤ .

«وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقلّ من الأفعال، ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الشياب ، وطاهر الجيب والذيل والأردان ، إذا وصفوه بالنقاء من العواقب، ومدانس الأخلاق ، وفلان دنس الشياب للفادر ، وذلك لأن الشوب يلابس الإنسان، ويشتمل عليه فكتني به عنه»^(١) . وقد عقب الدكتور محمد أبو موسى على ذلك بقوله :

«فالتعبير عن الإنسان بشوئه من المجاز المرسل الذي علاقته المجاورة، أو انتيمية، ولكن الزمخشرى يجعله من الكنية .. ويُكَنْ أن يكون الشال الواحد كناية لغوية باعتبار، ومجازاً مرسلأ باعتبار آخر...»^(٢) .

والكنية اللغوية هي المفردة التي يعبر فيها عن المكفي عنه بلفظ واحد مثل كلمة (نعجة) في قوله تعالى «إِنَّ هَذَا أَخْنَى لَهُ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَى نَعْجَةً وَاحِدَةً»^(٣) فإن هذه الكلمة في الموضعين كناية عن المرأة^(٤) .

وقد رأينا فيما تقدم ذكره أن جميع الكنيات التي أشار صاحب لسان العرب إلى أنها تكون مجازاً مرسلأ أيضاً عن كنויות لغوية مفردة .

(١) الكشاف ٤/١٥٦ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى / ٤٦٧ .

(٣) ص / ٢٣ .

(٤) الطراز للعلوي ١/٤٢٧ .

وقد وجدت الإمام فخر الدين الرازي ، وهو من البيانيين الذين لهم جهد يذكر في البيان العربي يذكر في تفسيره الكبير كثيراً من هذه الكنایات المفردة، ثم يذكر في مواطن أخرى من ذلك التفسير مايفيد أنها مجاز مرسل^(١) .

ولابأس أن أورد نسخة جائحة دليلاً على ذلك، فقد ذكر في قوله تعالى «... قال أعوذ بالله أن أكون من المجاهلين»^(٢) .

ان الاشتغال بالاستهزاء، لا يكون إلا بسبب الجهل ، ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعد موسى عليه السلام من نفس الشئ الذي نسبوه ولكته استعاذه من السبب الموجب له كما قد يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل، وغلبة الهوى والحاصل أنه أطلق اسم السبب على المسبب مجازاً^(٣) .

فجعل إطلاق الجهل على الاستهزاء مجازاً مرسلأ، لكنه عند تفسير قوله تعالى مخاطباً نبيه نوحأ عليه السلام «إنى أعظمك أن تكون من المجاهلين»^(٤) جعل الجهل كناية عن الذنب فقال : «جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن قال تعالى (يعلمون السوء بجهالة)^(٥) وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (أعوذ بالله أن أكون من المجاهلين)»^(٦) .

(١) ينظر المباحث البهائية في تفسير الفخر الرازي رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة / ٣٢٣ - ٣٢٦ .

(٢) البقرة / ٦٧.

(٣) التفسير الكبير / ١٢٦ .

(٤) هود / ٤٦ .

(٥) النساء / ١٧ .

(٦) التفسير الكبير ٩ ٤/٢ - ٥ .

وهنا نأتى إلى إزالة ما يbedo من تناقض ظاهر يتمثل في إطلاق مصطلح المجاز المرسل والكتابية على لفظ واحد ، مع أن قرينة المجاز مانعة ، وقرينة الكتابية غير مانعة ، وقد تصدى لهذه المهمة بجدارة واقتدار ابن يعقوب المغربي - رحمه الله - فبين أن اللفظ الواحد لا يكون مجازاً مرسلأ ، وكتابية في آن واحد ، ونظرة متساوية ، وإنما يتأسى ذلك إذا تبانت النظرة إلىهما ، وانفك جهة الإطلاق عليهما ، واختلفت الحيشية المعتبرة فيهما ، فكلمة النبات - مثلاً - تكون مجازاً مرسلأ عن الفيت من حيث التلازم بينهما ، وتكون كتابية عنه من حيث كون النبات رديفاً للفيت ، وتابع له في الوجود (١) .

وبينا على تلك النظرة ينقشع عن هذا الاستعمال ما يbedo من تعارض في بادئ الرأي ، ويمكننا أن نقول - مثلاً - إن لفظ (اللسان) يكون مجازاً مرسلأ عن الكلام لما بينهما من تلازم الآلية ، وما يصدر عنها ، ويكون كتابية عن الكلام : لأنه تابع له ، وأثر من آثاره .

(١) ينظر مواهب النجاح في شرح تلخيص المنهاج ٢٤٦/٤ - ٢٤٧ شرح التلخيص .

خامسة

(بعد) فقد تتبع هذا العمل بغير الله تعالى = تطير حقيقة المجاز المرسل، وكنهية عند كوكبة من جلة البيانيين، وقد تبين أن حقيقته ظلت غائمة، مختلطة بالاستعارة حتى فصل الشيخ عبد القاهر البرجاني بينهما، فجعله مقصوراً على ما كان النيل فيه مبيناً على أساس الملاسة، والتعلق بين المنقول عنه، والمنقول إليه، وجعل الاستعارة مقصورة على مانقله من أجل التشبيه للمبالغة .

وقد بدا أن (أبا يعقوب السقاكى) هو الذى أطلق عليه مصطلح (المجاز المرسل) ولعله قد استلهم كلمة (مرسل) من بيان الشيخ عبد القاهر، فقد ترددت خلال كلامه بمعنى عدم التقييد ، أو الخلو من دعوى الاتحاد الموجدة فى الاستعارة .

وقد أضاف هذا العمل - بفضل الله - من خلال ماذكره (السان العرب) كثيراً من الشواهد الجديدة المتنوعة التى لم تعهد لها كتب البلاغة المشتهرة .

ولم يكن همه، ووكله رصد هذه الشواهد، وسردها فحسب، بل غنى كثيراً بالوقوف عندها ، والموازنة بين كلام اللغويين، والبيانيين، واختيار ما ينسق مع الشواهد البيانية، وقد وصل الأمر - أحياناً - إلى مناقشة صاحب (السان العرب) فى بعض تعبيرات بلاغية غير سديدة مثل قوله وهو يصدق الحديث عن إطلاق لفظ الصلة على سورة الفاتحة (أراد بالصلة هنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) .

ولأزعم أن هذا العمل قد بلغ حد الكمال، أو برى من العيب ،
وخلا من الهنات .. ويكتفى أتنى بذلك فيه قصارى الجهد، وتوخيت
الصواب، والسداد «ربنا لاتزاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل
عليتنا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالاطامة
لنا به راعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين» .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصادر البحث ومراجعةه

- ١- أساس البلاغة - الزمخشري .
- ٢- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني تعليق الشيخ محمد رشيد رضا - مكتبة القاهرة - الطبعة السادسة ١٣٧٩هـ.
- ٣- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز - العزبن عبد السلام المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- ٤- الأطول - للعصام - طبعة الأستانة ١٢٨٤هـ .
- ٥- الأعلام - خير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.
- ٦- بغية الإيضاح - الشيخ عبد المتعال الصعيدي الجزء الثالث .
المطبعة النموذجية ١٩٧٣م.
- ٧- البلاغة تطور وتاريخ - دكتور شوقى ضيف - دار المعارف ١٩٦٥م.
- ٨- بلاغة القرآن في آثار الناضى عبد الجبار دكتور عبد الفتاح لاشين - دار الفكر العربى .
- ٩- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري دكتور محمد أبو موسى دار الفكر العربى.
- ١٠- البرهان في علوم القرآن - الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث - القاهرة.

- ١١- بقية الوعا - السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل - بيروت - لبنان.
- ١٢- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٣- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل مكتبة الجمهورية العربية الصنادية بالأزهر.
- ١٤- تفسير التحبير - ابن أبي الإصبع - تحقيق الدكتور حفني محمد شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٣هـ.
- ١٥- تفسير القرطبي ط الشعب - القاهرة.
- ١٦- تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضي عبد الجبار - دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان.
- ١٧- تفسير الكشاف - الزمخشري - دار المعرفة - بيروت.
- ١٨- التفسير الكبير - فخر الدين الرازي - دار الفكر - بيروت ط ١٤٠٥هـ.
- ١٩- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - نشره وشرحه السيد أحمد صقر - ط ثانية ١٩٧٣م - دار التراث القاهرة.
- ٢٠- تلخيص المفتاح - الخطيب القزويني - مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البنايى الحلبي.
- ٢١- حاشية الإتباب على الرسالة البيانية للص bian - المطبعة الأميرية ط أولى ١٣١٥هـ.

- ٢٢ - حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية- المطبعة الأزهرية - ط أولى ١٣٢٨هـ.
- ٢٣ - حاشية الدسوقي على مختصر السعد- ضمن شروح التلخيص.
- ٢٤ - حاشية السيد الشريف على المطول- على هامش المطول - مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
- ٢٥ - الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم- دكتور على محمد حسن ط أولى ١٩٧٤ مطبعة السعادة.
- ٢٦ - الخصائص- ابن جنى - تحقيق محمد على النجار- دار الهدى للطباعة والنشر - ط ثانية- بيروت - لبنان.
- ٢٧ - ديوان الراعي النسيري - تحقيق رأينهيرت - قايبرت - بيروت ١٤٠١هـ ، دار النشر - فرانش.
- ٢٨ - ديوان الفرزدق - دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ.
- ٢٩ - الرسالة البيانية للصبان-المطبعة الأميرية- ط أولى ١٣١٥هـ.
- ٣٠ - سنن أبي داود - دار إحياء السنة النبوية - مراجعة الشيخ محمد معين الدين عبد الحميد .
- ٣١ - شعر النابغة الجعدي - منشورات المكتب الإسلامي بدمشق - ط أولى ١٩٦٤م.
- ٣٢ - شرح المعلقات السبع - الزوزنى - المطبعة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٨٠هـ.
- ٣٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي - دار إحياء التراث - بيروت.
- ٣٤ - صحيح مسلم - شرح الترسو ط الشعب.

- ٤٥- صور من تطور البيان العربي دكتور كامل الخولي ط أولى ١٩٦٢م دار الأنوار للطباعة والنشر .
- ٤٦- الصناعتين - أبو هلال العسكري - دار الكتب العلمية ببيروت ط أولى ١٩٨١م.
- ٤٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكي - شروح التلخيص.
- ٤٨- غريب الحديث - ابن الجوزي - تعليق الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي - دار الكتب العلمية - ط أولى - ببيروت لبنان ١٤٠٥هـ.
- ٤٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني دار الريان للتراث ط أولى ١٤٠٧هـ.
- ٥٠- الفائق في غريب الحديث - الزمخشري - تحقيق على محمد البجاري وآخر - مطبعة عيسى البابي الحلبي ط ثانية.
- ٥١- الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ط خامسة ١٩٨١م.
- ٥٢- لسان العرب - ابن منظور ط دار المعارف .
- ٥٣- المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازى - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة - إعداد أحمد هنداوى هلال.
- ٥٤- المثل السائر - ابن الأثير - تحقيق دكتور أحمد الحوفي وآخر - دار نهضة مصر - ط ثانية.

- ٤٥- المختصر - سعد الدين التفتازانى - شروح التلخيص .
- ٤٦- مستند الإمام أحمد - مكتبة التراث الإسلامي - شرح أحمد محمد شاكر.
- ٤٧- مجمع الأمثال - الميدانى - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م.
- ٤٨- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف - الشيخ محمد عليان المرزوقي مع الكشاف الجزء الرابع - دار المعرفة - بيروت.
- ٤٩- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح - ابن يعقوب المغربي - ضمن شروح التلخيص .
- ٥٠- مجاز القرآن - أبو عبيدة - تعليق دكتور محمد فؤاد سزكين مكتبة الماخجبي - القاهرة.
- ٥١- معانى القرآن - النساء - عالم الكتب - بيروت ط ثانية ١٩٨٠.
- ٥٢- المعجم الوجيز - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة .
- ٥٣- معجم المؤلفين - تأليف عمر كحالة - مكتبة المثنى - لبنان.
- ٥٤- النهاج الواضح في البلاغة - الأستاذ حامد عونى - دار الكتاب العربي - ط أولى ١٣٧٧ هـ.
- ٥٥- الموازنة - الأمدي - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف ط رابعة.
- ٥٦- المطول - سعد الدين التفتازانى - مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠ هـ.

- ٥٧- المفتاح - السكاكي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط
أولى ١٩٣٧ م.
- ٥٨- ابن منظور وأثره في الدراسات اللغوية - دكتور محمد متولى
منصور - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة
العربية - بالقاهرة.
- ٥٩- النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد
الزاوى وآخر - المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٥	نهاية
٤٠-٩	(الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل)
١١	المجاز المرسل عند أبي عبيدة
١٤	المجاز المرسل عند ابن قتيبة
١٧	المجاز المرسل عند أبي هلال العسكري
١٩	المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار
٢٣	المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر البرجاني
٢٨	المجاز المرسل عند الزمخشري
٣١	المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازي
٣٢	المجاز المرسل عند السكاكيني
٣٨	المجاز المرسل عند الخطيب القزويني
١٣١-٤١	(الفصل الثاني علاقات المجاز المرسل في لسان العرب)
٤٢	السببية
٦٦	المسبية
٧٤	الألبة

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧٨	المجاورة
٩٢	اعتبار مكان
٩٧	اعتبار ما ينول إليه
١٠٦	الكلية
١٠٩	المجزئية
١٢٦	المحلية
١٢٧	الحالية
١٣٩-١٤٢	(الفصل الثالث المجاز عن المجاز)
	(الفصل الرابع بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب)
١٥٤-١٤١	(الفصل الخامس بين المجاز المرسل والكتابية في لسان العرب)
١٦٧-١٥٥	
١٧٠-١٦٩	خاتمة
١٧٦-١٧١	مصادر البحث ومراجعة



رقم الايداع ٩٤/١٠٢٥٩
الترقيم الدولي I.S.B.N
977-00-7916-2

التركي
للكمبيوتر وطباعة الأوفست - طنطا

To: www.al-mostafa.com